

مجمع المصنفين في تاريخ لبنان

الأقطاب العشرة

في
مصر وسوريا وفلسطين ولبنان

بقلم

أ. ن. بولياك

أ. ع. د. ف.

نقله عن الإنكليزية

عاطف كرم

ب. ع. ٠

منشورات دار المكشوف

عنوان الكتاب بالانكليزية

FEUDALISM

in

EGYPT, SYRIA, PALESTINE AND THE LIBANON

1250 - 1900

by

A. N. POLIAK, M.A. Ph. D.

London, 1939.

الطبعة الثانية ، بيروت - لبنان ، كانون الاول ١٩٤٨

جميع الحقوق محفوظة لدار المكشوف

مقدمة

فهذا البحث غرضان : اما الاول فتزويد طلاب تاريخ العرب ، - وسواهم ممن يستندون الى المراجع العربية إن في دراساتهم للغات او في اختصاصهم بآثار الاقدمين وفنونهم ، - ببحث موجز حول انظمة الاقطاع المختلفة التي توالى خلال الحقب في البلدان ذات الصلة ببحثنا . واما الغرض الثاني فاعطاء الباحث في الشرق الاوسط مفتاحاً للعلاقات الاقطاعية وآثارها التي لا تزال ماثلة في هذه البلدان .

ولقد ارفقت هذا البحث بفهرست مقتضب لتاريخ الاسر البارزة التي كانت لها منزلة مرموقة في العهد الاقطاعي .
واسدي شكري الوافر المجلس الملكي للجمعية الاسيوية التي شملت هذا البحث برعايتها .

المؤلف

المحتويات

- ١ - جنود الاقطاع عند الممالك .
- ٢ - اقطاعات الممالك .
- ٣ - انحطاط الاقطاعات العسكرية .
- ٤ - تلزيم ممتلكات السلطان .
- ٥ - نهاية الاقطاعية .

المصادر الرئيسية

- ١ - تاريخ أبي الفداء ، القسطنطينية ، ١٢٨٦ هـ .
- ٢ - تكوين البلدان Reinaud and de Slane, Paris, 1840
- ٣ - Anonym, Geschichte der Mamlükensultane in den Jahren 690-741 der Hira, Zetterstéen, Leiden, 1919.
- ٤ - عيني علي مؤذن زاده ، قوانين آل عثمان ، القسطنطينية ١٢٨٠ هـ .
- بالفرنسية : Belin, J. A. 6^e Sér. xv (1870) pp. 239-288.
- بالألمانية : P. A. Tischendorf, Das Lehnswesen in den Moslemischen Staaten, Leipzig, 1872, pp. 56-103.
- ٥ - Berchem, Max Van, Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, Paris, 1903 - 1930.
- ٦ - الذهبي ، دول الاسلام ، حيدر اباد ، ١٣٣٧ هـ .
- ٧ - الدمشقي ، نخبة الدهر Mehren, St. Petersburg, 1886.
- ٨ - ابن عبد الظاهر ، اللطاف الحفّة Moberg, Lund, 1902.

٩ - ابن بطوطة ، تحفة النظّار .

Defremery and Sanguinetti, Paris, 1893-1899.

١٠ - ابن دقماق ، كتاب الانتصار . Vollers, Bûlâq 1893.

١١ - ابن حجر ، الدرر الكامنة ، حيدر آباد ، ١٣٤٨ -

١٣٥٠ هـ .

١٢ - ابن اياس ، بدائع الزهور ، م ١ ، ٢ ، ٣ ، بولاق ،

١٣١١ - ١٣١٢ هـ . م ٤ ، ٥ ، اسطنبول ١٩٣١ - ١٩٣٢ .

١٣ - ابن الجيعان ، التحفة السنية . Moritz, Cairo, 1898.

١٤ - ابن خلدون ، كتاب العبر ، بولاق ، ١٢٨٤ هـ .

١٥ - ابن الشحنة ، الدرر المنتخب ، بيروت ، ١٩٠٩ .

١٦ - ابن تغري بردي ، النجوم الظاهرة .

Popper, Berkeley, 1909 etc.

١٧ - ابن تغري بردي ، حوادث الدهور .

Popper, Berkeley, 1930.

١٨ - ابن تغري بردي ، المنهل الصافي .

Mss. Paris, Slane, 2068 - 2072.

١٩ - صالح بن يحيى ، تاريخ بيروت (الطبعة الثانية) ،

بيروت ١٩٢٧ .

٢٠ - الاسحاقى ، اخبار الاول ، القاهرة ، ١٣١٥ هـ .

٢١ - الجبرتي ، عجائب الآثار ، القاهرة ، ١٢٩٧ هـ .

٢٢ - المقرئ ، خطط ، بولاق ، ١٢٧٠ هـ .

٢٣ - المقريري ، سلوك .

Quatremère's, translation and notes, Paris, 1837-1844.

Mariti, Geschichte Fakkardins (from the Italien), - ٢٤

Gotha, 1790.

٢٥ - ميخائيل الدمشقي ، تاريخ حوادث الشام ولبنان ،
(طبعة معلوف) ، بيروت ، ١٩١٢ .

٢٦ - مجير الدين ، الانس الجليل ، القاهرة ، ١٢٨٣ هـ .

٢٧ - النويري ، نهاية الارب ، القاهرة ، ١٩٢٣ - ١٩٣٥ .

٢٨ - القلقشندي ، ضوء الصبح ، القاهرة ، ١٩٠٦ .

٢٩ - القلقشندي ، صبح الاعشى ، القاهرة ، ١٩١٣ - ١٩١٩ .

Recueil de Firmans Impériaux Ottomans ad- - ٣٠

dressés aux Valis et aux Khédives d'Egypte, Cairo,
1934.

Roque, de la, Voyage dans la Palestine, vers le - ٣١

Grand Emir, Amsterdam, 1718.

Die Osmanische Chronik. - رسم باشا .

(ترجمها : L. Forrer, Leipzig, 1923.)

٣٣ - اسدج . رسم ، مواد لمجموعة وثائق عربية تتعلق بتاريخ
سوريا في عهد محمد علي باشا ، بيروت ، ١٩٣٠ - ١٩٣٤ .

٣٤ - السخاوي ، الضوء اللمع ، القاهرة ، ١٣٥٣ - ١٣٥٥ هـ .

٣٥ - الشدياق ، اخبار الاعيان في جبل لبنان ، بيروت ، ١٨٥٩ .

٣٦ - العمري ، تعريف ، القاهرة ، ١٣١٢ هـ .

- Volney, C. F., Voyage en Syrie et en Egypte, — ٣٧
Paris, 1787.
- ٣٨ — الظاهري ، زبدة كشف الممالك ، طبعة Ravaisse ،
باريس ١٨٩٤ .
- Bouron, N., Les Druzes. Paris 1930. — ٣٩
- Cromér, The Earl of, Modern Egypt, 2nd ed. — ٤٠
London, 1911.
- Egypte Moderne: I, J. J. Marcel, depuis la con- — ٤١
quête des Arabes jusqu'à la domination française;
II, A. Ryme, sous la domination Française; III, P.
et H., sous la domination de Méhémet Aly, Paris,
1884.
- Finn, J., Stirring Times or Records from — ٤٢
Jerusalem Cosular chronicles, London, 1878.
- Gaudefroy-Demombynes, La Syrie à l'époque — ٤٣
des Mamelouks, Paris, 1923.
- Hammer (- Purgstall) J. Von, Geschichte der — ٤٤
Osmanischen Reiches, 2nd ed., Pest, 1834-6.
- Mayer, L. A. Sarasenic Heraldry, Oxford, — ٤٥
1933. Supplemented by New Material for Mamlûk
Heraldry (IPOS., XVII, 1937).

المجلات الدورية

J. A. = Journal Asiatique.

JPOS. = Journal of the Palestine Oriental Society.

JRAS. = Journal of the Royal Asiatic Society.

Ma. = Almashriq.

PEFQS. = Palestine Exploration Fund Quarterly Statements.

RÉI. = Revue des Études Islamiques.

ZDPV. = Zeitschrift des Deutschen Palästina-Vereins,

النظام الاقطاعي

في

مصر وسوريا وفلسطين ولبنان

١٩٠٠ - ١٢٥٠

جنود الاقطاع عند الممالك

كانت الطبقة الحاكمة في دولة المالك (١٢٥٠ - ١٥١٧ م = ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ) منظمة بشكل جيوش اقطاعية مؤلفة في اغليتها من عناصر اجنية الاصل . ففي القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد كان اكثرهم من « الاوردو الذهبي » (القبائل التتارية في روسيا الشرقية) ، وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر كان معظمهم من القوقازيين والجرأكسة^١ بنوع اخص . وكل

١ عالجت هذه المسألة في مجلة الدروس الاسلامية عام ١٩٣٥ ،

ص ٢٣١ - ٢٤٨ .

دمشقي ، ص ٢٦٤ ، س ٧ . ونستطيع زيادة ابن خلدون ، م ٥ ،

ص ٣٧٢ - ٣٧٣ على هذه المصادر .

كانت الاقلية من عناصر غير متجانسة بما فيها الاوروبيون

هؤلاء كانوا ينسبون انفسهم الى الاتراك ، لان اللغة التركية التي يجيدون ويتكلمون كانت تميزهم من سائر الرعايا من ابناء البلاد الأصليين . ولم تكن اللغة التركية يومئذ لتنافس اللغة العربية ، اذ ان الآداب المدونة بالتركية لم تكن على اي جانب من الاهمية ، ولم تكن لتنشر بعد في عالم العلم ^١ . ولذا فكلما عمدنا الى التعمق في درس دولة المماليك وعلاقاتهم عولنا بحكم الضرورة على اللغة العربية ، مستندين الى مصادرها الادبية والتاريخية دون ان نعلق كثير الاهمية على المصادر التركية . بيد أنه ينبغي لنا ان نأخذ ببعض التعابير التركية التي كان يستعملها الحكام ، وقد تحورت وتبدلت تحت اقلام تراجتهم وكتابهم العرب ،

الغريون (سلوك ، م ١ ، ص ٢٣٥ . حوادث ، ص ٣٣٩ ، ٥٩١) ،
ويهود (سخاوي ، م ٥ ، ص ١٩٧ . ابن اياس ، م ٤ ، ص ٢٣٧) .
١ ان درس المواطنين اللغة التركية كان محظوراً من الحكام
(ظاعري ، ص ٩٩ ، س ٢٠ و ٢١ . سخاوي ، م ٧ ، ص ١٦٠ ،
رقم ٣٩٨) ، مع ان الكتاب الذين توصلوا الى درسيها كانوا
اصحاب مقام مرموق .

فوصلت إلينا من خلال المصادر العربية صورة قريبة للأصل،
ولكنها ليست طبقاً له، لاسيما فيما يتعلق بالاسماء والتعابير
« التكنيكية » .

أما الشرط الأساسي في تنصيب الأمير اميراً والفرس
فارساً فهو أن يكون مسلماً ولو بالاسم^١ .
ولقد كان الجيش الاقطاعي يأتى بأمره سلطان
منتخب^٢ . ويتألف الجيش من ثلاثة أقسام رئيسية :

١ خطط ، م ٢ ، ص ٢٢ ، س ٢٦ - ٣٤ . ابن حجر ، م ٣ ،
ص ٢٦٣ ، س ١٦ - ١٧ .

٢ أن لقب « سلطان » ورثه الأيوبيون والمماليك من الوزراء
الفاطميين (بهاء الدين بن شداد ، القاهرة ، ١٣٤٦ هـ . ص ٢٩ ،
س ١) . والهيئة الانتخابية كانت مؤلفة من أمراء المئة الذين كانوا
يقطنون القاهرة . والمفضلون لتبوي هذا المركز كانوا إما من
أولاد السلاطين السابقين أو القواد العسكريين المصريين (اتابك
العساكر) . وفي بعض الأحيان كان الحاكم العام السوري
يضع في هذا المركز إذا اختلف عليه طالبوه أو يتولاه
عنوة بثورة أهلية . وبعد الانتخاب كان الخليفة يقره
في منصبه .

القسم الأول : « اجناد الحلقة » ، وهم فرسان يأتُمرون
بارادة السلطان دون ان يكونوا ملكًا له .

القسم الثاني : يعرف « بالماليك الملكيين » ، وهم ملك
السلطان ينعتون بـ « المشتروات » و « السلطانية »
و « السيفية » .

القسم الثالث : يشتمل على الامراء ومماليكهم^١ .

والى جانب هذه الفرق يجب ان نذكر :

١ - « البحرية » وهم اجناد مماليك السلطان الايوبي

المعروف « بالصالح ايوب » والذين اصبحوا على عهد

السلطان « قلاوون » حرسه الخاص ابان اسفاره ، وحراس

قلعة القاهرة الشهيرة التي كانت تضم في ارجائها القصر

الملكي^٢ .

١ صبح ، م ، ٤ ، ص ١٤ ، بن ٨ الى ص ١٧ ، س ١ - ١١ . ضوء

الصبح ، م ، ١ ، ص ٢٤٤ ، س ١٨ الى ص ٢٤٥ ، س ١٨ . نجوم

م ، ٤ ، ص ٣٨٦ ، س ١٧ الى ص ٣٨٧ ، س ٩ . ظاهري ، ص ١١٣ ،

س ٤ - ١٨ ، ص ١١٦ ، س ٧ - ١٩ .

٢ خطط ، م ، ٢ ، ص ٢١٧ ، س ٢٠ - ٢٣ . ظاهري ، ص ١١٦ ،

٢ - « الأجناد القرانيس » اي اولئك الاشراف القوقازيين الذين لم يحصلوا على لقب امير بعد ، ولكنهم كانوا من الناحية الاجتماعية بمنزلة الامراء^١ (امير خمسة) . هذا من ناحية التقسيم . اما من جهة القيادة فكان لكل مئة جندي من اجناد الحلقة « نقيب » و « باش » يأتمرون امره . ولكل الف قائد يأتمرون امره وينعت بـ « نقيب الف » .

اما في وقت الحرب فكان لكل اربعين من اجناد

ص ١٨ . صبح ، م ٤ ، ص ١٦ ، س ٩ - ١١ . ضوء الصبح ، م ١ ، ص ٢٤٥ ، س ١٦ - ١٧ . ابن اياس م ١ ، ص ٣٣١ ، س ٣ - ٥ . وكانت هنالك ايضاً وحدات من البحرية في سوريا وفلسطين (صبح ، م ٤ ، ص ١٨٢ عن دمشق . ظاهري ، ص ١٣٢ عن الكرك) .

١ ظاهري ، ص ١١٥ ، س ١٧ - ٢٠ عن لفظة « قرانيس » او « قرانصة » او « قرناص » . راجع نبذتي في « مجلة الدروس الاسلامية » عام ١٩٣٥ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ . افضليتهم بدأت على عهد السلطان « برفوق » .

الحلقة قائد يطلق عليه اسم « مقدم الحلقة »^١. زد على ذلك ان لكل قسم من تلك الاقسام فروعاً تتشعب منه فكان بين ممالك الملك ضباط يعرفون « بالخاصكية »^٢ (وهم رسل السلطان المخصوصين برتبة مرافق) . وآخرون ينعتون بـ « مقدمو الممالك » وكانوا خصيئاناً يعهد اليهم بتثقيف الممالك الفتيان .

وكان الممالك اثناء دروسهم العسكرية يعتبرون بمثابة عبيد مؤقتين يطلق عليهم اسم « الممالك الكتائية » . غير انهم كانوا ارقى طبقة من « العبيد السود » ومن العبيد المواطنين الذين يعرفون « بالغلان » رغم تساويهم في نظر

خطط ، م ٢ ، ص ٢١٦ ، س ٥ - ٦ ، ص ٢١٨ ، س ٨ - ٩ . ظاهري ، ص ١١٦ ، س ١٧ . صبح ، م ٤ ، ص ١٦ ، س ٧ .
٢ ظاهري ، ص ١١٥ - ١١٦ . راجع ابن اياس ، م ٤ ، ص ٣٥٨ ، س ١٤ - ١٥ . في قائمة جيوش الممالك عام ١٣١٥ لفظنا « خاصكية » و « خرجية » معناه طبقة الامراء الكبار وطبقة الامراء الصغار (خطط ، م ٢ ، ص ٢١٧ ، س ٣٧ الى ص ٢١٨ ، س ٥) .

اما اجناد السلطان فكانوا يدربون في ثكنات قلعة القاهرة^١ (طباق - طبقة) . واما لقب « امير » الذي استعمله الكتاب العرب ترجمة للقب بك ، فان هو إلا لقب يخلع على كل فارس يأمر كوكبة مؤلفة من خمسة ممالك على الاقل^٢ ، ويحمل وثيقة خطية بهذا اللقب . كما وان بين حاملي لقب امير طائفة من اجناد الحلقة الذين كان في امرتهم من الواحد الى الاربعة ممالك^٣ . ومهما يكن فلقد عني المؤرخون بالامراء اولئك الاقطاعيين الذين

١ صبح ، م ٣ ، ص ٤٨١ ، س ١٨ . ظاهري ، ص ٢٧ ، س ٥-٧ .
حولات ، ص ٦٥٨ ، س ٢-٣ . بعض « مقدمي الممالك » كانوا يعملون كمراقبي ثكنات الجيش فينعتون اذ ذاك « اغوات الطباق » (راجع ابن اياس ، م ١ ، ص ١٦٨ ، س ٦ ، م ٤ ، ص ٤٨٥) ، والبعض الآخر كان يوكل اليهم اعطاء التعليقات فقط .

٢ بولياك ، في مجلة الدروس الاسلامية ، عام ١٩٣٥ ، ص ٢٦٤ ، رقم ٣ .

٣ بولياك ، في مجلة الدروس الاسلامية ، عام ١٩٣٥ ، ص ٢٤٧ ، رقم ٤ .

يأمرون خمسة ممالك (باستثناء ابن يحيى) فما فوق .
وهناك « امراء مئة » يأمرون مئة مملوك (واحياناً
مئة وعشرين)^١ . اما امير « الطبلخانة »^٢ فكان يقود
فصيلة من اربعين مملوكاً (واحياناً ثمانين) . وامير العشرة
يأمر عشرة (واحياناً عشرين) . وامير الخمسة يأمر خمسة
منهم .

هذا في وقت السلم . واما في وقت الحروب فكان
امير المئة يقود ايضاً ألفاً من « اجناد الحلقة » . لذلك كان
ينعت بامير « المئة » ومقدم « الف » او « مقدم » وحسب ،

١ هؤلاء الممالك كانوا يعرفون بممالك الامراء (نجوم ، م ٦ ،
ص ٣٨٧) . جند (او اجناد) الامراء (خطط ، م ٢ ، ص ٢١٦ .
صبح ، م ٧ ، ص ١٥٩) . « طواشيتة » (صبح ، م ٧ ، ص ١٥٩ .
ابن يحيى ، ص ٧٩ ، ٩٣ ، ٩٤ . ابن الشحنة ، ص ٢٢٥) . « فوارس »
(خطط ، م ٢ ، ص ٢١٥ . صبح ، م ٤ ، ص ١٥) . وهذا اللقب
الاخير كان يستعمل بالحرب لغيرهم من الفرسان .

٢ وكانت موسيقى الجيش تضرب على ابواب مساكنهم استقبالا
ووداعاً ، كما تضرب على ابواب امراء المئة . راجع : سلوك ، م ١ ،
ص ١٧٣ - ١٧٤ ، رقم ٥٤ . ابن اياس ، م ٥ ، ص ٢٧٠ ، س ١١ - ٢١ .

وبـ "امير الالف" احياناً ، كما ان "ممالك الملك" (اوردها
ابن اياس بوجه خاص) ، اثناء القيام بواجبهم ، كانوا بدورهم
في طاعة امراء ايضاً .

وينبأ "اجناد الحلقة" يوزعون على "قواد الالف"
بطريقة ثابتة^١ مستديمة ، كان القائد والممالك الذين في امرته
يعينون جميعاً بامر خاص من السلطان^٢ حسب مقتضيات
الحاجة والاحوال .

وكان الممالك الملكيون يمنحون الاقطاعات والاخذات
مكافأة على خدماتهم ، ووظف لهم مرتب شهري (جامكية)
ومنحة سنوية لشراء الكسا (الكسوة) ومال يعرف
"بالرواتب" . زد عليه اعطاءهم حاجتهم من الشعير علفاً
لخيولهم ، والخلام لبناء خيامهم ، واللحم قوتاً يومياً لهم

١ ابن اياس ، م ٤ ، ص ٥١ ، س ٦ - ٧ ، ص ٩٩ ، س ٨ ، ص
١٠٥ ، س ١٩ - ٢١ ، م ٥ ، ص ١٢٦ ، س ١٩ - ٢١ .
٢ خطط ، م ١ ، ص ٨٧ ، س ٣٩ الى ص ٨٨ ، س ١٠ . نجوم ،
م ٦ ، ص ٣٨٧ ، س ١ - ٢ .

ولعليهم . وتسبغ عليهم السلطة " الضحايا " في مواسم
الاعياد ، ويتقاضون في الحروب نفقة خاصة . ولدى ارتقاء
سلطان جديد سدة الحكم ، كانت تغدق عليهم المكافآت
القيمة بغية التشجيع ايضاً^١ . غير ان الحال تبدلت نوعاً
عام ١٣٩٥ اذ ضم السلطان " برقوق " اقطاع ولده محمد
المتوفى (وكان امير الف) الى املاك السلطان بعد ان
كان منتوج هذه الاقطاع مخصصاً لدفع " الجامكية "
للماليك الملكيين . وكان لهذه الاقطاع مجلس اداري
يعرف " بديوان المفرد " او " الديوان المفرد " يرأسه
" الاستادار الكبير " . لذا كان ينعت ايضاً " بديوان
الاستادارية " . ومن ثم عرضت حاصلات تلك الاقطاع
لواجب اضافي آخر وهو منح الماليك الملكيين وعمال

١ راجع ابن اياس ، م ٢ ، ص ٥٧ ، س ٢٠ و ٢١ . م ٤ ، ص ١٣ -
١٤ ، ١٧٧ ، ٢٣٥ ، ٣٦٩ . صبح ، م ٤ ، ص ٥١ ، س ٨ . نجوم ،
م ٦ ، ص ٣٨٧ ، س ٥ و ٦ . « نفقة السلطنة » ابن اياس ، م ١ ، ص
٢٦٠ ، س ١٠ = « نفقة البيعة » .

السلطان التجاريين " الكسوة " والعلف ودفع الرواتب
لرجال الدين . ولما لم يف مدخول الاقطاع بتغطية كل
هذه المصاريف اضطرت السلطات الى ان تضيف اليه عدة
عقارات ثانوية يصرف دخلها في هذا السبيل ، وان
تجمع الضرائب للغاية نفسها من المصريين في مقاطعات
الحكام ومن شيوخ البدو عند تعيينهم شيوخاً^١ .

ولا مندوحة عن الادلاء بان الوزير المصري نفسه
كان مسؤولاً عن تقديم الاحوم للممالك الملكيين . وكان
المجلس المعروف " بديوان الوزارة " او " ديوان الدولة "
يضمن الاراضي ويستغل مناجم النظرون في " الطرانة " ^٢

١ نجوم، م ٥، ص ٦٢٦، س ٦ - ١٣، م ٦، ص ١٠٤، س ٢٠،
ص ٤٩٣، س ١٢ - ١٤ . منهل، م ٥ . حوادث، ص ٣٨، س ٥،
ص ٦٩١ . ظاهري، ص ١٠٦، س ٢١ - ٢٢، ص ١٠٧، س ٤ -
١٧ . سلوك، م ١، ص ٢٥، ٢٦، ٢٧، رقم ٢٥ . صبح، م ٣، ص
٤٥٧، س ٢ - ٧، م ٦، ص ٢١٥، س ٦ .

٢ حوادث، ص ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٩٢، ٣٢١، ٦٩١ . ظاهري،
ص ٩٧، س ١٥ - ٢١ . صبح، م ٣، ص ٤٥٥، ٤٥٦ .

ويجبي الضرائب ليدفع أمان تلك اللحوم . اما " الضحايا " والذخيرة والمؤونة والكسا في ايام الحروب فكانت منوطة بمجلس آخر يعرف " بديوان الخاص " اسسه السلطان محمد بن قلاوون " على ان يدير شؤونه " الناظر الخاص " ^١ . واعترت الدولة اذ ذاك صعوبات مادية واقتصادية كانت سبباً مباشراً خلق هذا التقسيم في قلب الخزينة التي كان ينبغي ان تظل موحدة . وبالرغم من هذا التقسيم فان الصعوبات في ضبط ميزانية الدولة ظلت امراً عسيراً يستحيل قهره وتذليله .

وكان لفرسان الحلقة اقطاعات ايضاً . وقبل عام ١٢٩٨ كان امراء المئة ^٢ يصلون هؤلاء الفرسان بمؤوتتهم ومؤونة خدامهم .

وكان للامراء ايضاً اقطاعات ، ولهم نفقة يتقاضونها قبل ذهابهم الى ساحة الوغى . ولقد خص كل من قطن

١ ظاهري ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ . صبح ، م ٣ ، ص ٤٥٦ .

٢ خطط ، م ١ ، ص ٨٧ ، س ٣٩ الى ص ٨٨ ، س ٢ .

القاهرة منهم بالطعام واللحم والخبز والحلوى والزيت والعلف والثياب والشمع^١ . وكان السلطان يصلهم بالهدايا والخليل مرتين في العام^٢ ويعطي البيوت والاراضي لاكثرهم نفوذاً^٣ . وكانت هذه الاراضي تعتبر ملكاً خاصاً لا يخضع لنظام الاقطاع . اما في الشتاء فيعطى المالك الملكيون والامراء رقعاً من الارض في جوار " الجيزة " بدلاً من العلف . ولقد زرعت هذه الرقع بالعشب الاخضر " كالحندقوق " و " المديد " المعروف " بالريع " وفي التركية " بالاطلاق " (معربة اطلاقات) . وتتراوح مساحة كل منها بين نصف فدان^٤ ومئات الفدادين ، بحسب رتب الذين

١ صبح ، م ، ٤ ، ص ٥١ ، س ٧ - ٨ . ضوء الصبح ، م ، ١ ، ص ٢٥٨ ، س ١٥ - ١٦ .

٢ خطط ، م ، ٢ ، ص ٢١٦ ، س ٢٩ - ٣٠ .

٣ صبح ، م ، ٤ ، ص ٥٥ ، س ١٤ - ١٧ .

٤ الفدان المصري كان قبل محمد علي يساوي ٥٩٢٩ متراً مربعاً ، ثم اخذ ينقص شيئاً فشيئاً حتى امسى ٨٣ ، ٢٠٠٠ . راجع جبرتي ، م ، ٤ ، ص ٢٠٨ ، س ٢٤ . البرنس عمر طوسون « ذكريات

مخلع عليهم وعدد خيولهم . وهذا ما حدا الوزير ١ الى اعادة النظر بالتقسيم في مطلع كل عام .

ويقدم السلطان احياناً على سبيل التقديم الشخصية — لطائفة من الاقطاعيين والافراد والمؤسسات — مرتباً معيناً يعرف " بالمسموح " ٢ .

غير أن ارادة السلطان لم تشأ منح المالك العاديين نصيباً من الاقطاعات او المال ، بل ارغمت كل امير على اعطائهم ثلثي دخل ما يملك من ارزاق ، وذلك اما

عن الاقتصاديات المصرية « ، القاهرة ، ١٩٢٤ ، ص ١١٥ ، ١١٩ .
١ ساروك ، م ١ ، ص ١٦ - ١٧ ، رقم ١٦ . خطط ، م ٢ ، ص ٢١٦ ، س ٢٨ - ٣٠ . ابن اياس ، م ١ ، ص ١٣٧ ، ٢٤٢ ، م ٢ ، ص ٥٤ ، ١٨٠ ، ٢٤٧ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٨ ، م ٤ ، ص ٢٨٣ ، ٣٣٥ ، ٤٨٢ ، م ٥ ، ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ . صبح ، م ٣ ، ص ٤٥٦ ، س ٣ - ٤ .
نجوم ، م ٦ ، ص ٢٥١ ، ٢٥٣ . حوادث ، ص ١٩ ، ٩٤ ، ٢٥١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٦ ، ٥٣٧ . منهل ، م ١ ، فقرة ٢١ .

٢ سخاوي ، م ١ ، ص ٦١ ، س ٢٠ ، ص ٦٣ ، س ١٩ ، ٢٢ .
حوادث ، ص ٢٥٣ ، س ١١ - ١٤ . وربما وردت « معتدات » في
ابن اياس ، م ٤ ، ص ٤٣ ، س ١٥ - ١٦ ، ص ٤٦ ، س ١٩ - ٢١ .

ارضاً تحرث وتزرع^١ واما مالاً نقداً من غلة السنة^٢ .
وبالطبع كان بإمكان الأمير أن يعطي ممالكه قطعاً غير
متساوية من الارض حسب مشيئته ورضاه^٣ ، كما كان
بإمكانه الاحتفاظ لنفسه بأكثر من الثلث شرط ان يكون
ذلك بموافقة ممالكه موافقة تامة لا نزاع فيها^٤ . اضاف
أن الأمير كان يتقدم قسماً من « النفقة » الشخصية التي
يتقاضاها .

اما كتاب الجيوش فلم تكن محدودة . وزعمت
بعض المصادر ان في كبار ولايات الممالك عدداً ضخماً
من الجنود ، فقليل أنه كان هنالك ستة عشر ألف مملوك

١ خطط ، م ٢ ، ص ٢١٦ ، س ٢ . نويري ، م ٨ ، ص ٢٠٧ ،
س ١ - ٥ .

٢ ابن اياس ، م ٢ ، ص ٣٣٧ ، س ٢١ - ٢٦ . الثلث الباقي
للأمير كان يعرف بالملك « الخاص » له (نويري ، م ٨ ، ص ٢٠٧ ،
س ٣ ، ٥ . ابن يحيى ، ص ٩٢ ، س ١٩ الى ص ٩٤ ، س ١٠) ،
او « خاصته » (صبح ، م ٦ ، ص ٢٠١ ، س ١٩) .

٣ خطط ، م ٢ ، ص ٢١٦ ، س ٢ .

٤ المصدر نفسه ، س ٣ .

على عهد " يبيرس الاول " ، واثننا عشر ألفاً (او ٧٠٠٠) في
 أيام " قلاوون " ، واثننا عشر ألفاً في عهد " خليل " ، وأكثر
 من اثني عشر ألف " مشتروات " في أيام " محمد بن
 قلاوون " ١ . والظاهر ، على ما يستدل من الوثائق ،
 انهم لم يتجاوزوا بعض الآلاف عدداً ٢ . وفي عهد " محمد
 ابن قلاوون " كانت " الخاصكية " تبلغ الاربعين ، وفي عهد
 " برسباي " بلغت ألفاً ، وفي أيام " الغوري " وصلت الى
 اثني عشر ألفاً ٣ . وقد بلغ مجموع عدد " مقدمي الممالك "

١ ظاهري ، ص ١١٦ ، س ٧ - ٨ . خطط ، م ١ ، ص ٩٥ ، س
 ٥ - ٦ . ابن اياس ، م ١ ، ص ١٧٣ ، س ١٤ .

٢ في عام ١٣١٥ بلغ عدد الممالك العاديين الفين ، وعدد
 « المتقدمين » اربعين . اما بعد مئة سنة من هذا التاريخ فاصبح
 مجموع عدد الممالك الملكيين وفرسان الحلقة معاً اقل من خمسة
 الاف ، وبينهم اقل من الف محارب حقيقي (خطط ، م ١ ، ص ٩٥ ،
 س ١٢ - ١٤ ، م ٢ ، ص ٢١٨ ، س ٩ - ١٠) .

٣ ظاهري ، ص ١١٦ ، س ١ - ٣ . ابن اياس ، م ٥ ، ص ٥ ، س
 ٥ - ٦ .

عام ١٣١٥ اربعين مقدماً ١ . بيد ان عدد " اغوات الطباق " ربما كان مساوياً لعدد الشكنات والقشل ٢ (اي اثني عشر) . وفي ايام السلم كانت مصر مقر الممالك الملكيين وموطنهم (لذا فاننا لا نرى الا في مصر اراضي مخصصة لديوان المفرد وديوان الوزارة) .

وسكن القسم الاوفر منهم " القاهرة " فاستأجر دوراً مستقلة واصطبلات لخيوله ٣ . اما في ما يختص بالامراء وقواد الحلقة فينبغي التنبيه الى ان دولة الممالك كانت منقسمة الى عدة ممالك صغيرة ، لكل منها فرسان وامراء يقطنون عادة المركز الاداري الرئيسي فيها . وكانت اقطاعة كل امير او فارس ضمن الدويلة التي يخدم فيها . اما في حالة نقله من مقاطعة الى اخرى فكان ينال في محله

١ خطط ، م ٢ ، ص ٢١٨ ، س ٨ - ٩ .

٢ ظاهري ، ص ٢٧ ، س ٥ - ٧ .

٣ ابن اياس ، م ٤ ، ص ٣٦٩ .

الجديدة أقطاع جديدة بدل التي كانت في حوزته آنفاً ١ .
وقد يعود بصورة استثنائية الى أقطاعه الاولى ٢ في
احدى الحالتين : اما ان لا تتوافر له أقطاع شاغرة ٣ في
محلته الجديدة ، واما ان يشمله عطف خاص من السلطان .
وكان الحق في خلق الامراء منوطاً بالسلطان وحده ٤
في مصر . اما في سوريا ولبنان وفلسطين فكان الحاكم
الأعلى يلفت نظر السلطان الى فرسان الحلقة اللامعين في
بلده فيخلع عليهم السلطان لقب " امير " ، اذا شاء ،

- ١ حوادث ، ص ٣٥٠ ، س ١٢ ، ص ٣٥٧ ، س ١٣ - ١٥ ،
- ص ٣٧٢ ، س ١٩ ، ص ٦٦٢ ، س ٦ . نجوم ، م ٦ ، ص ٣١٤ ، س ٥ .
- ٢ ابو الفداء ، م ٥ ، ص ٦١ ، س ٢٩ ، ص ٧١ ، س ٢٦ ، ٢٧ ،
- ص ٧٤ ، س ٦ - ٨ . منهل ، م ٣ . ابن اياس ، م ٤ ص ١٢٥ ، س ٢١ .
- ٣ « الشاغر » (نجوم ، م ٧ ، ص ٨٥١ ، س ١٢) . « محلول » (خطط ،
- م ٢ ، ص ٢١٧ ، س ١٥) . « متوفّر » (ابن اياس ، م ٢ ، ص ٢٧٧) .
- « موفّر » (نجوم ، م ٦ ، ص ٦٨ ، س ١٧) . « مؤخّر » (نجوم ، م ٦ ،
- ص ٧ ، س ١٤) .
- ٤ صبح ، م ٤ ، ص ٥٠ ، س ١٦ الى ص ٥١ ، س ٢ . خطط ، م ٢ ،
- ص ٢١٧ ، س ٢٤ - ٢٦ .

ويذكر على وثيقتهم الخطية الرسمية اسم الحاكم الأعلى الذي
أوصى بهم^١ .

وفي عام ٨١٥ و ٨٧٥ هـ . أعطى السلطان كبار حكام
سوريا وفلسطين حق تسمية " الامراء " و " الفرسان " و
حق اعطائهم اقطاعات في بلادهم . وكان اشهر من كسب
هذا الحق الحاكم " نوروز الحافظي " سنة ٨٥١ ، و " يشبك
الدوادار " عام ٨٧٥^٢ .

وزعم " الظاهري " ^٣ - وهو من ذكر اعظم الوجود

١ صبح ، م ٤ ، ص ٥١ ، س ٣ - ٦ ، ص ١٨٤ ، س ١٣ - ١٥ ،
ص ٢١٧ ، س ٦ - ٧ ، م ١٢ ، ص ٢١ ، س ١٦ - ١٧ ، ص ٢١٨ ، س ١٩ .
٢ ابن اياس ، م ١ ، ص ٣٥٨ ، س ٨ ، م ٢ ، ص ١٢٧ ، س ٢ - ٧ .
نجوم ، م ٦ ، ص ٣١٤ ، س ١ .

٣ ص ١٠٤ ، ١٣١ - ١٣٥ . في بعض الاحيان نجد شيئاً من
القبوض في ما يختص بالامراء المديرين بصورة عامة .

وحسب « صبح » (م ٤ ، ص ١٨٢ ، س ١٦ - ٢٠) كان
في مقاطعة الشام ١٠ امراء مئة ومن ٤٠ الى ١٥٠ « امير الطبل »
و ٢١٥٠ (!) امير عشرة . اما الحاكم العام فينتخب عادة من
امراء المئة .

في تلك الدولة — أن مقاطعة دمشق اشتملت على اثني عشر
" امير الف " ، وعشرين " امير الطبل " ، وستين " امير
وسط " ، واثني عشر الف " فارس حلقة " (وبمقاطعة دمشق
نعني جنوب سوريا واكثر اراضي لبنان وشمال شرق
الاردن والسامرة وشمال ارض يهوذا) .

وفي مقاطعة « صفد » ثلاثة « امراء الطبل »
وحوالى عشرين اميراً ثانوياً ، والف فارس حلقة . وفي غزة
(القرنة الجنوبية من فلسطين) « اميران الطبل » ، والف
فارس حلقة . وفي طرابلس (ونعني بها طرابلس وارض
العلويين الجديدة) اربعة « امراء الف » ، وعشرة « امراء
الطبل » ، وحوالى ثلاثين اميراً ثانوياً ، ومن ثلاثة الى اربعة
آلاف « فارس الحلقة » . ثم في « حماه » فكان هنالك
اربعة « امراء الطبل » ، واكثر من عشرين اميراً ثانوياً ،
وحوالى اربعة آلاف « فارس الحلقة » ايضاً . وفي مقاطعة
حلب من ستة الى تسعة « امراء مئة » ، وعشرة « امراء
الطبل » ، وعشرون « اميراً ثانوياً » ، وستة آلاف « فارس

الحلقة " . وفي " ملطية " ثمانية " امراء الطبل " ، واكثر من ثلاثين اميراً ثانوياً ، والف " فارس الحلقة " . اما في مقاطعة " الكرك " (جنوبي شرقي الاردن) فان ظاهري لا يعطينا كثيراً من المعلومات المفصلة . غير ان " مقصد " ^١ يزعم ان مقاطعة دمشق كانت تطعم ثمانية " امراء مئة " ، وواحداً وعشرين " امير الطبل " ، واثنين وعشرين " امير عشرين " ، وواحداً وخمسين " امير عشرة " ، وثلاثة وعشرين امير خمسة . وفي مقاطعة صفد اربعة " امراء الطبل " ، وثلاثة " امراء عشرين " ، وستة " امراء عشرة " وثلاثة " امراء خمسة " .

على هذا النحو جرت الحالة النظامية الاجتماعية . اما من الناحية العسكرية فلم يكن في القطر المصري سوى جيش موحد في دولة كبرى تضم الأقضية الصغيرة التي اتينا على ذكرها ، وتأتمر بطاعة السلطان ، فيخلع بنفسه

١ وردت عند جودفروي ديمونين ، ص ١٤٢ ، ٢٣٤ .

لقب " فارس الحلقة " على من يشاء . وتفرد نائبه بإعطاء هذه الألقاب ، وامثالها وخول منح اقطاعات صغيرة لا تتجاوز غلتها السنوية اربعمئة او ستمئة " دينار جيشي " دون مراجعة السلطان ^١ في هذا العطاء الزهيد .

والذي نود ذكره هنا ، ايضاحاً لعهد اول سلاطين المماليك ، هو ان مصر ضمت ما يربو عن اربعة وعشرين " امير مئة " . بيد أن هذا العدد مال الى الهبوط بعد تأسيس ديوان المفرد ، ففدوا عشرين " امير مئة " ، ثم تدنى الى ثمانية عشر . وعلى عهد السلطان " خشقدم " اصبحت عددهم ثلاثة عشر ، وفي ايام " جقمق " اصبحت احد عشر . غير ان هذا العدد رجع الى ما كان عليه سابقاً فأضحى سنة ٩٠٨ هـ . اربعة وعشرين « امير مئة » . وامسى عام ٩٢٠ هـ . سبعة وعشرين اميراً ^٢ . اما عدد الامراء

١ ابن اياس ، م ١ ، ص ٢٢٩ ، س ٢ - ٤ . سلوك ، م ٢ ، ص ٩٥ ، رقم ١١٣ .

٢ ص ١٤ ، م ١٤ ، ص ١٤ ، س ١٣ - ١٨ . حوادث ، ص ٤٥٢ ،

الثانويين فلقد كان ابدًا لا يستقر على حال ١ .

وفي عام ١٣١٥ بلغ مجموع « امراء الطبل » و « امراء العشرة » ٤٩١ اميراً . ثم في سنة ١٥١٦ اربى عددهم على الثلاثة امير ، وكان قد هبط قبل هذه الحقبة هبوطاً محسوساً دون هذا العدد بكثير ٢ .

وفي سنة ١٣١٥ بلغ عدد « فرسان الحلقة » ٨٩٣٢ فارساً و ٢٠٤ ضباط ، بينما امسى عدد الذين يقطنون القاهرة منهم لا يربو على الاربعمئة (عام ١٤١٨) ٣ . وعليه فنستنتج ان عدد « فرسان الحلقة » الذين يأتمرون باوامر

س ٢١ . نجوم ، م ٧ ، ص ٢٣٧ ، س ١٣ . ابن اياس ، م ٤ ، ص ٣٠ ، س ١٤ ، ص ٣٥٨ ، س ٦ ، ص ٤٣٤ ، س ٧ .
١ صبح ، م ٤ ، ص ١٥ . ضوء الصبح ، م ١ ، ص ٢٤٥ .
٢ خطط ، م ٢ ، ص ٢١٧ ، س ٣٧ الى ص ٢١٨ ، س ٦ .
ابن اياس ، م ٥ ، ص ٥ ، س ٨ - ٩ .

٣ خطط ، م ٢ ، ص ٢١٨ ، س ٨ - ١١ . نجوم ، م ٦ ، ص ٣٨٨ - ٣٨٩ . ان العدد ٢٤٠٠٠ (خطط ، م ١ ، ص ٩٥ ، س ٢ . ظاهري ، ص ١٠٤ ، ١١٦) وضع على اساس افتراض انه عدد يساوي عدد امراء المئة (خطط ، م ٢ ، ص ٢١٧ ، س ٣٥) .

” امير مئة “ كان بالواقع اكثر من مئة ودون الألف
بكثير . اصف الى هذه الجيوش جيوشاً ثانوية اخرى من
الوطنيين مؤلفة من التركمان ، والأكراد ، والاسماعيليين ،
والقبائل البدوية ، وعشائر الفلاحين في سوريا ولبنان .
واليك نبذة مختصرة عن كل منها :

١ - التركمان والاكراد : (وهم رعيان القبائل)
استخدمهم المماليك كجيوش استعمارية في شتى نواحي
سوريا ولبنان وفلسطين ^١ . ففي عام ١٢٦٧ قام ” ميبرس
الأول “ ووزع التركمان على الشاطئ الفلسطيني ليصد
هجمات الصليبيين عنها ^٢ . وفي عام ١٣٠٦ قسمت جهات
كسروان ، في لبنان ، الى اقطاعات ووزعت على ثلاثمئة

١ ظاهري ، ص ١٠٥ . صبح ، م ٣ ، ص ١٨٢ ، م ٧ ، ص
١٩٠ ، ٢٨٢ ، م ١٢ ، ص ٢١٨ . نجوم ، م ٦ ، ص ٣٦٤ .
ابن الشحنة ، ص ٢٢٨ ، و ٢٦٤ . ابن بجي ، ص ١٠٧ ،
١٨٢ .

٢ سلوك ، م ١ و ٢ ، ص ٥١ . راجع صبح ، م ١٢ ،
ص ٢١٨ ، س ١٦ .

فارس تركاني وكلت اليهم حماية الشاطئ من انطلياس
(قرب بيروت) الى ضواحي طرابلس^١ . ولزعماء
القبائل اصحاب النفوذ والسيطرة ، دون سواهم ، عاد الحق
بمنح لقب " امير " (امير عشرة وعشرين وامير الطبل) .
على ان منزلة اصحاب هذه الألقاب كانت دون منزلة
الامراء الاتراك الذين يحملون اللقب عينه والدرجة نفسها .
اما العلامة الفارقة بينهم فكانت في نوع الرخصة الاقطاعية
الملكية المعطاة لهم من السلطان^٢ .

٢ - القبائل البدوية : منح امراؤها الاقطاعات
شرط ان يقوموا بحراسة الطرق ومعاينة قطاعها^٣ ، وان

١ ابن يحيى ، ص ٣٣ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ١٦٩ . راجع شدياق ، ص
٢١٢ ، ٣٤٦ .

٢ صبح ، م ٧ ، ص ١٩٠ ، س ٦ - ٧ و ١٧ ، م ١٣ ،
ص ١٥٨ ، س ١٩ ، ص ١٩٨ ، س ١٠ - ١١ .

٣ ابن خلدون ، م ٥ ، ص ٣٨٣ ، س ١٥ - ١٦ ، م ٦ ،
ص ٦ ، س ٢ - ٣ ، ٩ ، ٢٢ ، ص ٩ ، س ١٢ . صبح ، م ٣ ،
ص ٤٥٨ ، س ٤ . سلوك ، م ١ ، ص ١٦٩ - ١٧٠ . ان كل

يرسلوا الخيل الأصيلة هدايا للسلطان في مطلع كل عام^١ ،
وان يتجندوا خيالة ثانوية في جيش المماليك ابان الحاجة^٢ .
والى جانب ذلك كان يترتب على زعماء قبائل " الشرقية "
وصحراء " سينا " ان يقدموا خيلاً لتأمين المواصلات
البريدية على خطي دمياط - بلبيس ، والخروبة - بلبيس ،
وهما فرعان للخط الرئيسي : القاهرة - دمشق^٣ .
وكما اظهر زعماء القبائل نفوذاً واسعاً لقبوا بالامراء ،

زعيم من الزعماء كانت يترب عليه مقدمة فرقة من « الدرك »
وفرقة من « الحفراء » الذين يعسكرون في خيامهم على الطرقات
هناك (صبح ، م ١٣ ، ص ٩٥ ، س ١٤ - ١٩ . نجوم ،
م ٦ ، ص ٢٩٢ ، س ٣ ، ص ٤٨١ ، س ٨) .

١ تعريف ، ص ١١٠ ، س ١٤ - ١٥ . صبح ، م ١٢ ، ص ١٢٧ ،
س ١٥ - ١٧ ، ص ١٣٥ ، س ١ - ٢ .

٢ نجوم ، م ٦ ، ص ٧١ ، س ١٥ ، الى ص ٧٢ ، ر .
ابن خلدون ، ص ٦ ، س ٩ . ابن اياس ، م ١ ، ص ٣٣٠ ، س
٧ - ١٠ .

٣ صبح ، م ٣ ، ص ٤٥٨ ، س ٤ ، م ١٤ ، ص ٣٧٧ ، س

ولقب كل من اتسع نفوذه من زعماء القبائل اميراً (دون
ان يعادل الامراء الاتراك منزلة). ومن ضؤل نفوذه منهم
اطلق عليه لقب " فارس الحلقة " ١ . ولم يخرج عن
القاعدة هذه غير زعيم قبيلة " آل فضل " ٢ الجبارة الذي

١ صبح ، م ٣ ، ص ٥٨ ، س ٣ - ٤ .

٢ ان اسماء الاقطاعيين كانت من النادر ان تحمل اسم
الاقطاعة الوراثية التي يملكون ، كما جرت العادة في اوروبا (مثلاً :
عائلة « الشارنقاشي » في مصر في القرن الخامس عشر :
سخاوي ، م ٨ ، ص ٢٠٣ ، س ٢٣ . اما الفرسان الاجانب فكانوا
يحملون اسماء اسياهم : « جكم » من عوض « او جكم » العوضي =
جكم من اتباع عوض (على زمن المماليك) . وعلى عهد العثمانيين :
« مراد بك محمد » = البك مراد من اتباع محمد . اما عائلات
« اولاد الناس » من المواطنين فكانوا يحملون اسماء شخصية
على زمن المماليك ، او اسماء مستعارة من اجدادهم واسلافهم يضعون
قبلها « ابن » او « بنو » او « اولاد » او « آل » . اما على عهد
العثمانيين فكانت الاسماء على الامثال التالية : فلان شهاب ،
فلان الشهابي ، وبالجمع بنو ، آل ، بيت شهاب = الشهابيون =
الشهابية . فلان الحازن ، بالجمع : الحوازنة = بنو ، آل ، بيت
الحازن .

حاز لقب " ملك البدو " او " امير الصحراء " ^١ . ونظن
أن قبيلة " آل فضل " التي تجوب الآن شرقي بحيرة
طبريا هي حفيدة تلك القبيلة التي تزعم اميرها الصحراء
والتي كانت تتنقل في شمالي سوريا اذ ذاك . وكان آل
فضل كلما ضاقت بهم ارض سوريا واقطاعاتها ، توجهوا
الى " مغوليا الايرانية " فخلع عليهم هؤلاء ارضا واسعة
النطاق لا تقل عن مساحة العراق باسره ^٢ فيوزعها الأمير
الأكبر كيفما شاء ^٣ اقطاعات اقطاعات على بدوانه . وكان
السلطان يخلع لقب امير على بعض افراد اسرة الأمير
الأكبر احيانا ويسبغ عليهم الاقطاعات والممتلكات ^٤ .

١ ملك العرب ، امير الأ . نجوم ، م ٦ ، ص ٢٧٣ ، س
١٨ ، ص ٨٠٠ ، س ١٢ .

٢ سلوك ، م ١ و ٢ ، ص ١٧ . ابو الفداء ، م ٤ ، ص ٧٣ ، س
٢١٩ ، ص ٨٥ ، س ٢٨ . ابن حجر ، م ٤ ، ص ٣٧٠ ، س ٩ .
ابن باطوطة ، م ١ ، ص ١٧١ ، س ٢ .

٣ تعريف ، ص ١١٠ ، س ٤ (وربما اعترف بهم كماليكه) .

٤ تعريف ، ص ٧٩ ، س ١٥ ، الى ص ٨٠ ، س ١ . ابو الفداء ،

وعلى غرار آل فضل ولهم امراءؤهم وفرسانهم ،
جری « آل علي » (وهم بطن من « آل فضل »
يرتادون سهول دمشق) ، و « آل مرة » (في حوران) ،
وبنو عقبة (في مؤاب) . وهكذا كان شأن قبيلة المهدي
في جلعاد ولهم من واحد الى اربعة امراء .

وكان يخلع لقب امير احيانا على زعماء قبيلة « المشاركة »
في سوريا ، وقبيلة « الجرم » في غزة ، واشتهر منهم « زيد »^١ .
ويذكر « الحمداني » ان مصر ، في مستهل عهد
المماليك ، ضمت ما يربو على اثنتي عشرة سلالة من

م ٤ ، ص ٨١ ، س ١ - ٢ ، ص ٩١ ، س ١٧ - ١٨ ، ص ١٤٨ ،
س ٣١ .

١ راجع لائحة القبائل البدوية في سوريا وفلسطين في « تعريف »
ص ٧٩ - ٨٠ . صبح ، م ٤ ، ص ٢٠٣ - ٢١٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ،
٢٤٢ ، ٢٤٣ ، م ٧ ، ص ١٨٤ - ١٨٩ . ابن خلدون ، م ٦ ، ص
٦ - ١١ . مقصد ، اورد ذكره جودفروي ديمونين ، ص
٢٠٠ ، رقم ١ . ظاهري ، ص ١٣٢ ، س ١٣ ، ص ١٣٦ ،
س ٦ .

سلالات الامراء البدو (خمسة في الجنوب، وسبعة في الشرقية). غير ان السلالات هذه ما لبثت ان اضمحلت قبل انصرام ذلك العهد ^١ .

وفي القرن الرابع عشر هاجرت قبيلة « الهوارة » من البحيرة الى مصر العليا، فأكسبت هذه الهجرة زعماءها « بني عمر » لقب امراء ^٢ .

ومن الامراء الذين لا مندوحة عن ذكرهم في مصر عند بدء افول عهد المماليك هم « بنو الأحذب » ^٣ (في مصر العليا)، و « بنو بقر » ^٤ في الشرقية، و « بنو

١ راجع اللائحة المفصلة في « تعريف » ص ٧٦ - ٧٧ . صبح ، م ٤ ، ص ٦٧ - ٧٢ ، م ٧ ، ص ١٦٠ - ١٦٢ .

٢ المرجع نفسه . ابن اياس ، م ٢ ، ص ٩٦ ، ١٦٦ ، ١٧١ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٦٢٩ الخ .

٣ ورد ذكرهم عام ٧٥٤ هـ . كزعماء قبيلة « عرك » (ابن اياس ، م ١ ، ص ٢٠٠) ، وعام ٩٢٨ هـ . كزعماء « الهوارة » (ابن اياس ، ٥ ، ص ٤٢٩ ، ٤٣١) .

٤ ابن اياس ، م ١ ، ص ٣٣١ ، م ٢ ، ص ١٢٧ ، ١٩٧ ، م ٥ ، ص ١٠٨ ، ٢٣٥ ، الخ . عن قبيلة جذام .

بغداد " ١ في الغريبة ، و " بنو مرعى " ٢ في البحيرة .
 ٣ - قبائل الفلاحين في لبنان وسوريا وفلسطين :
 ويعرفن " بالعشاير " او " العشير " او " العشران " ٣ .
 وابان الحروب كانت الحكومة تستأجرهم مرتزقة مشاة ،
 سلاحهم الاقواس والسهام والحجارة .
 ويخطر لنا بهذا الصدد أسماء قبائل آخر من تلال
 السامرة ٤ ، عرفت بالبدو " العربان " ولم يرد اسمها بين
 البدو الخالص ولا بين قبائل غيرها لا في لبنان ٥ ولا

- ١ ابن اياس ، م ٢ ، ص ١٠٥ ، م ٥ ، ص ٤٣١ .
 ٢ وردت مراراً في الجزئين الرابع والخامس عند ابن اياس .
 ٣ ان هذه التسمية عاجلتها في مجلة الدروس الاسلامية عام
 ١٩٣٤ ، ص ٦٢٤ ، ٢٦٥ .
 ٤ ابن اياس ، م ١ ، ص ٢٨١ ، ٢٩٢ ، ٣٢٩ ، ٣٤٢ ، ٣٥٣ ،
 م ٢ ، ص ١٠٩ ، ١٢٣ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، م ٤ ، ص ٤٠٨ ،
 ٤٤٨ ، م ٥ ، ص ٨٨ ، ٢٣٩ ، ٣٧٧ . بحيز ، ص ٦٦٦ ،
 ٦٧٣ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ . حوادث ، ص ٧٠١ ، ٧٠٩ .
 ٥ ابن يحيى ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

في ولايات طرابلس وصفد وحلب^١ . وكان هؤلاء
ايضاً يؤجرون خيالة احياناً .

اما " العشائر " فكان يترأها خمسة وثلاثون زعيماً
ينعتون " بالمقدمين " ، على زعم ظاهري^٢ . وكان بإمكان
هؤلاء ان يجندوا خمسة وثلاثين الف خيال ، بينما كان
الأكراد يعبثون عشرين ألفاً ، والتركمان مئة وثمانين الف
خيال ، والبدو ٩٣ ألفاً (منها ٢٩ ألفاً في سوريا وفلسطين ،
٣٣ ألفاً في مصر ، و٣١ ألفاً في الحجاز وما بين النهرين) .
اما أبرز الزعماء اللبنانيين في فجر عهد المماليك
فهم :

١ - بنو صبح او صبيح : اهم الزعماء اللبنانيين في

١ ابن الشحنة ، ص ٢٦٤ ، س ٤ . نجوم ، م ٦ ، ص ٤٩ ،
س ٥ - ٦ ، ص ٩٤ ، س ١١ . صبح ، م ١٢ ، ص ١٠٩ ، س ٦
(عن حمص) .

٢ ص ١٠٥ ، س ١٦ - ١٧ . ابن اياس ، ص ٣٣١ ،
س ١٠ .

عهد سلاطين المماليك الاول ١ .

٢ - بنو بشاره : زعماء العشير في القرن الرابع عشر . ولا يزال اسمهم يطلق اليوم على الارض الواقعة في جنوب الجمهورية اللبنانية والمعروفة ببلاد بشاره ، واكثر سكانها من الشيعة ٢ .

٣ - بنو الحنش : قطنوا سهل البقاع وضواحي حماه ، وقد أيّد أكثرهم اiban الغزو العثماني واضمحل القسم الباقي منهم عام ١٥٤١ ٣

- ١ ابن يحيى ، ص ٣٣ ، ٣٤ ، ٨٤ ، ٩٦ ، ١٠٥ ، ١٣٦ .
- Anonym ، ص ١٤٠ - ١٤٤ . تقويم ، ص ٤٠ ، رقم ١ .
- منهل ، م ٤ ، الفقرة ٦٨ . شدياق ، ص ٤٨ ، ٤٩ ، ٢٥٠ .
- ٢ نجوم ، م ٦ ، ص ١١٤ ، ٧٨٧ . حوادث ، ص ٥٦ ، ١٠٩ . ابن اياس ، م ٢ ، ص ٢٣٨ . سخاوي ، م ٣ ، ص ١٣٨ .
- ابن طولون ، « رسائل تاريخية » ، (دمشق ١٣٤٨ هـ) ، م ٤ ، ص ٦٠ . وفي ٨٢٤ هـ . أسست بلدة جديدة مكان صور .
- ٣ ابن يحيى ، ص ١٩٨ . ابن اياس ، م ٥ ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٤ ، ٢٤٨ . رسم ، ص ٥٥ - ٥٦ . شدياق ، ص ٢٤٦ ، ٢٥١ ، ٣٤٨ .

- ٤ - بنو الحمراء : قطنوا البقاع ايضاً وكانوا من اصحاب الاقطاعات في القرنين الرابع والخامس عشر ^١ .
- ٥ - بنو بختر : يعرفون ايضاً ببني " تنوخ " وهم زعماء " الغرب " واصحاب اقطاعات منذ ١١٤٧ قرب بيروت ^٢ احتفظوا بها رغم الغزو العثماني حتى عام ١٦٣٣ .
- ٦ - بنو رمطوني : وهم زعماء اقطاعيون قطنوا ضواحي بيروت منذ عام ١٣٠٩ . وفي اعتبار بني " معن " ^٣ (القبيلة التي سنمر على ذكرها في القرن السابع عشر) ان نسبهم ينتهي الى الرمطونيين .

١ ابن يحيى ، ص ١١١ ، ١٥٤ ، ١٨٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ . شدياق ، ص ١٥٥ ، ٢٤٣ .

٢ ابن يحيى ، ص ٤٥ ، س ٧ . ابن حجر ، م ٢ ، ص ٥٤ - ٥٥ ، رقم ١٥٨٦ . شدياق ، ص ٢٢٤ ، س ١٨ .

٣ بولياك ، في مجلة الدروس الاسلامية ، عام ١٩٣٥ ، ص ٢٤٧ ، رقم ٦ . ابن يحيى ، ص ١٥٨ - ١٦٥ . منهل ، م ٣ ، فقرة ٨ . ابن حجر ، م ١ ، ص ٥٤٠ - ٥٤١ ، رقم ١٤٦٢ . ان التقليد الزاعم ان احفاد المعنيين هم من سلالة امير بدوي يعرف « بمعن » نزل الى لبنان عام ١١٢٠ (شدياق ، ص ١٦٢ ، ٢٤٧)

٧ - بنو الجيش : وهم ألد خصوم بني بختر^١ واجداد
امراء بني ارسلان المعروفين في ايامنا هذه^٢ . ويقطنون
ضواحي بيروت ايضاً .

٨ و ٩ - بنو اسماعيل وبنو عبد القادر :
تنافسوا على " المشيخة " زمناً وعلى لقب " شيخ عربان

ليس سوى خرافة لا صحة لها ، كما ان ما تدعيه المصادر الاوروبية
انهم من احفاد الصليبيين لا يتركز البتة على اساس من الصحة .
فان يجيى لم يكن يعرف مطلقاً تلك العائلة التي عاشت على عهد
المماليك حسب رواية الشدياق ، والزعماء في الشوف لم يكونوا
المعنيين اذ ذاك (كما ذكر الشدياق) بل كانوا بني معصاذ (ابن يجيى ،
ص ١٧٣ ، س ٥) . ويظهر من قول الشدياق ص ١١٤ ، ان
النسب « الرمطوني » بعد ان تركه بنو معن ادعته عائلة « علم
الدين » (التي ابادت بني « بختر » عام ١٦٣٣ ، وابيدت هي
بدورها عام ١٧٠٩) . فهؤلاء المؤرخون لم يَدْخَوا على رواياتهم بعض
الغموض ، ولم يتمكنوا من وضع سلسلة اسماء متتابعة منذ ذلك الحين
وحسب ، بل ادعوا ان الامير « الرمطوني » الاول (علم الدين) كان
واحداً من بني بختر ، ثم انفصل عنهم عام ١٣٠١ .

١ ابن يجيى ، ص ٤٧ ، ٥٩ ، ٦٩ ، ٧٢ - ٧٣ ، ٨١ - ٨٢ ،
٩٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٣٣ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٩٠ ، ٢٠٠ .
٢ شدياق ، ص ٦٦٨ - ٦٧٥ .

جبل نابلس " ١ (على زمن الجراكسة) .

١٠ — ويزعم الامراء الشهابيون انهم يتحدثون ممن تزعموا " وادي التيم " في زمن العثمانيين (وهم امراء زعماء في لبنان بين ١٦٩٧ و ١٨٤١) ، وانهم يتمتعون بهذه الزعامة منذ " صلاح الدين " ٢ . وليس في مصادر الممالك التاريخية غير النزر القليل عن تلك الفترة في لبنان . ولذا استحال علينا رفض هذا الزعم او التسليم به بشكل قاطع . وكان بنو الحنش وبنو الحمراء واسماعيل وعبد القادر انصاف بدو . وقد يكون بنو بشارة وبنو صبح من الشيعة ٣ . واما زعماء " الغرب " فتمظهروا بالسنية وابطنوا

١ حداث ، ص ٢١٥ . ابن اياس ، م ٢ ، ص ٢٢١ ، ٢٣٤ ،
٢٧٨ . بحير ، ص ٦٦٦ ، ٦٦٩ ، ٦٧٥ . سخاوي ، م ١ ، ص
١٠ ، م ٨ ، ص ٧٠ ، رقم ١٢٩ .
٢ شدياق ، ص ٤٤ .

٣ صبح ، م ٤ ، ص ١٥٣ ، س ١٣ ، ص ١٥٤ ،
س ١٤ .

المذهب الدرزي^١ . وأُعترف بمعظمهم " فرسان الحلقة " وامراء من رتب ثانوية .

وظفرت طائفة منهم ، بصورة استثنائية ، ومنحة خاصة ، بلقب " امير الطبل " .

٤ - الاسماعيليون وقد قطنوا الارض المعروفة اليوم ببلاد العلويين . وفي ممتلكاتهم حصون " المصيف " و " الرصافة " و " الخوابي " و " القدموس " و " الكهف " و " العليقة " و " النيقة " . واصبحت هذه الارض جمعا عام ١٢٦٩ عدا حصن مصيف اقطاعة " لمبارك بن رضى " زعيم الاسماعيليين الاكبر ، وحامل لقب " امير الطبلخانة " ^٢ . وألحقت هذه المقاطعة كلها عام ١٢٧١ بدولة المماليك ، فقبس زعمائها قوانين وانظمة جديدة . واقتصرت مهمتهم على صد اعداء السلطان فارسلوا لهم الارهايين ومنحوا لقاء

١ ابن بجي ، ص ٤٧ ، س ٢ - ٥ ، رقم ٢ ، ص ١٥٨ ،
س ١١ ، ص ١٨٢ ، س ٢٢ .
٢ سلوك ، م ١ ، ٢ ، ص ٨٠ .

عملهم دخل الحصون الآتفة الذكر .

ولم يصبحوا يوماً من ذوي الاقطاعات ، ولم يشعم
السلطان عليهم بالقباب " امراء " ، بل ظلوا يحملون لقب
" اتابك " ١ . اضف اليه ان هنالك قوات ثانوية تتشكل
من " غلمان السلطانية " و " البلاصية " لم تنظم تنظيمًا
قبليًا قويًا ولم تكن من ذوي الاقطاعات ٢ .

اما البحرية فكانت تضم نوعين من الرجال : البحارة ،
ولا عمل يشغلهم سوى قيادة السفن وبنائها واصلاحها ،
— والغزاة . ومعظم عناصرهم من المماليك والجيوش الثانوية .
ومن اهم الحروب التي خاضتها البحرية هي المعارك التي
اشعل لظاها السلطان " الغوري " ضد البرتغال في البحر
الاحمر بعد ان استأجر اميرالاً عثمانياً مع ألفين من رجاله
لهذه الغاية . وبديهي ان يكون ذلك قد حصل قبل

١ ابن الشحنة ، ص ٢٦٠ . صبح ، م ٤ ، ص ١٤٦ ، م ٧ ،
ص ٢٣٨ .

٢ ابن اياس ، م ٢ ، ص ١٨٠ . حوادث ، ص ١٩٠ .
ظاهري ، ص ١٣٢ .

نشوب الحرب الاخيرة بين الاتراك والماليك^١ .
والسلطان الغوري نفسه هو الذي اسس " المرتزقة " ^٢
والمدفعية وحملة البنادق ، والف من " اولاد الناس " الطبقة
الخامسة^٣ . ونعني باولاد الناس الفرس والتركان وغيرها .
اما الارستقراطية الاقطاعية فكانت صاحبة امتيازات
واسبقيات وافضاليات عديدة . فالدعاوى القضائية المنوطة
بالفرسان والامراء ، مثلاً ، لم يعينها " قضاة " يحكمون
بحسب الشريعة الاسلامية ، بل جلس فيها حكام
عسكريون يعرفون " بالحجاب " ، تمشوا على شرائع

١- ابن اياس ، م ٤ ، ص ٣٦٥ ، ٤٥٩ ، م ٥ ، ص ١٠٩ .
عاد بعد ما أصبحت مصر عثمانية .

٢ اصحاب المحدث : المواطنون من اصل تركي (خاصة اولاد
الأمراء واحفادهم) وبنو الاتراك . راجع ابن اياس ، م ٤ ، ص
١٣٦ ، س ٥ ، ٨ ، ١٦ .

٣ ابن اياس ، م ٤ ، ص ٢٠٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٩ ، ٣٣١ ، ٣٦٠ ،
٣٦٩ ، ٤٣٦ الخ .

« يأسه العظمى » التي سنها جنكيزخان^١ تبعاً للمقتضيات السياسية . وحق للأعضاء العسكريين دون سواهم ان يرتدوا الدروع سلاحاً^٢ . وحضروا جل جهودهم في حذق ركب الخيل ليمتازوا به عن سائر المواطنين^٣ ، كما انهم تميزوا بالتحفيفة يضعونها على رؤوسهم فتفرقهم عن يرتدي « العمامة » من باقي الناس . ومن جملة المظاهر الخارجية التي تفردوا بها ، تطريز الاكمام وتذهيب رؤوس الرماح والمهاميز^٤ .

- ١ راجع المصادر التي ذكرتها في مجلة الدروس الاسلامية ، ١٩٣٥ ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ . الغوري ابطال موقتاً المحاكم العسكرية في ٩١٠ هـ . و ٩١٩ (ابن اياس ، م ٤ ، ص ٧٧ ، ٣٠٢ ، ٣١٢ ، ٣١٨ ، ٣٢٠) . ولكن الضربة القاضية كانت موجبة من الفتح العثماني . اما البدو فكان لهم حجاب مختصون بهم (ابو الفداء ، م ٤ ، ص ١١٣ ، س ١٢ ، ١٣ . منهل ، م ٤ ، فقرة ١٩٨ ، س ١٩) ، وربما كانوا يحكمون بموجب العادات القبلية .
- ٢ ماير ، ص ٣ . وقد شرح هذه المسألة مجدداً في مقاله عن سوريا ، م ١٨ ، ص ٣٨٩ - ٣٩٣ .
- ٣ حوادث ، ص ٧٦ ، ٧٧ ، ٩١ ، ٥٣٤ ، ٥٣٨ .
- ٤ خطط ، م ٢ ، ص ٢١٧ ، س ١١ - ١٢ .

والى جانب هذا فان وظائف عدة ، ومكاتب مختلفة في الدولة ، حفظت وخص بها الفرسان والامراء . وهذه " الوظائف الجيشية " (كما نعتوها اذ ذاك) لم تكن تحمل طابعاً عسكرياً صرفاً وانما شكلاً حكومياً ايضاً .

وكثيراً ما أفردت لهم " الوظائف الدينية " و " الوظائف الديوانية " وهي من حق المواطنين ورجال الدين قبل ان تكون من حق الارستقراطية ^١ .

اما المزايا التي كان ينبغي ان تكتمل في الفارس الحق (الفروسية) فتحدد من ناحية الترويض الجسدي بالقوة البدنية والالمام بفن المصارعة ومعرفسة استعمال الرمح والشكيمة واللجام وفهم نسب الخيل الاصيله ، ومن الرماية بالسهم والرماح الى ما هنالك من ضروب الفروسية التي

١ مثلاً : « ناظر الاوقاف » كان عادة اميراً ، مع ان هذه الرتبة كانت بين « الوظائف الدينية » . راجع ظاهري ، ص ١١٥ ، س ١٢ - ١٣ . ضوء الصبح ، م ١ ، ص ١٥١ ، س ٣ - ٥ . منهل ، م ٤ ، فقرة ١٩٨ ، س ١٩ .

عرفناها تحت اسم " انواع الفروسية " او " فنون
الفروسية " ١ .

واما الفتوة - نظام الفرسان في اخلاصهم لذرية
محمد - التي يرأسها السلطان ، والمباحة للفرسان الاصليين ،
فاضمحلت في القرن الرابع عشر ٢ . ولربما كان مرد
اضمحلالها الى نمو الارستقراطية التركية نمواً متكاملأ .
وبعد احتلال المماليك لسوريا وفلسطين عام ١٢٦٠ ظل
هنالك بعض من المقاطعات اللاتينية (لغاية ١٢٩١) وبعض
مقاطعات ايوية في " الكرك " (حتى عام ١٢٦٣) وفي
حمص (حتى عام ١٢٦٤) وفي صهيون (لعام ١٢٧١)
وفي حماه (لعام ١٣٤١) ، كما اننا لم نفتأ نجد الدولة

١ سخاوي ، م ٣ ، ص ٤١ ، س ١٠ - ١١ ، ص ٣٠٨ ،
س ٢٥ - ٢٦ ، م ٦ ، ص ٢٢٨ ، س ١٥ - ١٦ . حوادث ،
ص ٥٨٥ ، س ١ - ٢ . راجع « علم الفروسية » في ابن
اباس ، م ٢ ، ص ٨٧ ، س ٢٢ .
٢ سلوك ، م ١ ، ص ٥٨ ، ١٦٣ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ . ابن عبد
الظاهر ، ص ٦٤ .

الدرزية تحتفظ بكيانها حتى عام ١٣٠٠ ، ودولة « النصيريين »
« عمل الزنيين » حتى عام ١٣٠٦ ١ .

فبينما كانت المقاطعات اللاتينية تستقل عن دولة
الماليك ٢ ، كنا نرى الايوبيين في عداد ذوي الاقطاعات .

١ راجع بولياك في مجلة الدروس الاسلامية ، ص ٢٦٥ ، سنة
١٩٣٦ ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ . ان هذه النواحي ربما لم يكن فيها
تحالف رؤساء القبائل وثيق العرى (راجع عن كسروان في شدياق
ص ٢٠٨ - ٢١٢) . وبعد الاحتلال لم يعد اولئك الزعماء القبليين
يعطون اقطاعات في مناطقهم ، ولكن الذين يهاجرون منهم من
كسروان الى طرابلس كانوا يحصلون على لقب فرسان الحلقة
(ابن يحيى ، ص ٣٢ ، س ٧ . اقرأ اخياز !)

٢ لقد تمكن اثنان من زعماء البدو الثائرين ان يوطدا دولتين
مستقلتين لوقت قصير هما :

أ - السلطان البدوي « حصن الدين بن ثعلب » حاكم مصر العليا
على عهد « ايبك » و « قطز » وبيبرس الاول . (تعريف ، ص ١٨٨ ، س
٦ - ١٢ . صبح ، م ٤ ، ص ٦٨ ، س ١ - ٩ . سلوك ، م ١ ، ص
٤٠ - ٤٢) .

ب - والامير التركماني « فارس » حاكم الشمال - الغربي من سوريا
بين ٨٠٦ و ٨٠٨ هـ . وقد ثبتت اقطاعات اولئك الفرسان الماليك
الذين قبلوا التعاون في خدمته (منهل ، م ٤ ، فقرة ٢٠٥ ، ٢٠٦ .
سخاوي ، م ٦ ، ص ١٦٣ ، رقم ٥٤٠) .

اما سلطان حماه فكان يأمر - بحسب الامتياز
المعطى له عام ١٣١٣ - خمسة فارس ، كما كان يحق له
خلق امراء اذا ما استشاو سلطان المماليك الاعلى في ذلك ^١ .
غير ان سلاطين وامراء من الاقطاعيين المماليك قطنوا
الكرك وصهيون حكماً ^٢ .

فالذي يمكننا استخلاصه هو ان المماليك اعتبروا لبنان
وفلسطين وسوريا قسماً لا يتجزأ من دولتهم ^٣ ، بينا ان

١ ابو الفداء ، م ٤ ، ص ٧٤ ، س ٢٣ - ٢٧ . صح م ٤ ،
ص ٢٣٧ ، س ١٣ - ١٦ .

٢ ان الجيوش المحتفظ فيها بالكرك من قبل السلاطين المحليين
كانت اكثر عدداً واكثر اهمية من الجيوش التي عسكرت في هذه
المقاطعة عندما كانت تابعة لدولة المماليك (راجع منهل ، م ٧ ، فقرة
١١٢ ، عن سلطان « بركة خان ») . في صهيون كان يحق « للامير سنقر
الاشقر » بين عامي ١٢٨٠ و ١٢٨٧ الاحتفاظ بستاية فارس .
(سلوك ، م ٢ ، ص ٣٠ - ٣١) . وكان يحق « لبيبرس الجانشكير »
عام ١٣١٠ ان يبقى في خدمته ١٠٠ فارس (ابو الفداء ، م ٤ ، ص
٦٠ ، س ١ - ٢ ، ٣٠) . ولكنه أوقف وهو في طريقه الى مقره .
٣ بين الامراء الذين حصلوا على الاقطاعيات في الساحل
الفلسطيني عام ١٢٦٤ نجد اسم « بدر الدين محمد » احد اولاد

بعض الدويلات التي بسطوا عليها سيطرتهم ظلت حرة
مستقلة تحكم نفسها بنفسها وتدفع الجزية ضريبة للسلطان
الفاتح . وبتلك الدويلات نغني ديار بكر وقبرص وبرقة
ونويا والحجاز واليمن .

وكان امير « المدينة » يملك اقطاعا صغيرة في مصر^١ .

« بركة خان جوتشي » حاكم الاوردو الذهبي وسيد دولة المماليك .
(سلوك ، م ١ ، ٢ ، ص ١٤) (راجع مجلة الدروس الاسلامية ، ١٩٣٥ ،
ص ٢٣٣) .

١ ابن الجيعان ، ص ١٣٣ ، س ١٢ ، ص ١٤٤ ، س ٢١ . ابن
حجر ، م ٣ ، ص ١٥٠ ، س ١٠ .

اقطاعات الممالك

اما الاقطاعة على عهد الممالك فهي كناية عن إخادة (تعرف " بالخبز " او " المثل " ١) تمنحها الدولة للامراء والفرسان ، وتعتبر ملكاً مؤقتاً لهم ، يستغلونه حسبما يشاؤون ، اذ تتنازل الدولة عن هذه الاقطاعات فتقسم على الامراء والفرسان تبعاً لرتبتهم العسكرية . على ان يكون

١ راجع ملاحظاتي عن هذين التعبيرين في J. R. A. S. ١٩٣٧ ، ص ٩٩ . ان لفظة « اقطاعة » كانت ايضاً مستعملة لامتلاكات ديوان المفرد وديوان الدولة (حوادث ، ص ٢٥٣ ، ٢٩٢ ، ٣٢١ ، ٤١٣) . وربما أطلق عليها اسم اقطاعات لان اكثر غلتها توزع على الفرسان . وهذا ينطبق على « الاقاطع السلطانية » لامتلاكات التاج في مصر بعد الاحتلال العثماني (راجع ابن اياس ، م ٥ ، ص ٤٢٠ ، س ٨ ، ٢٠ ، ص ٤٠٣ - ٤٠٥) . اما الممتلكات التي يحتفظ بها السلطان لنفقاته الخاصة فلا يطلق عليها اسم اقطاعة .

دخلها كافياً لسد فاقثهم . لذا كانت الدولة تفرض على
آخذي معظم الاقطاعات الصالحة للزراعة رسماً
او ضريبة تدفع من دخلها في بدء كل عام للحكومة
الرئيسية ١ .

وبما ان المستهدف من هذا الاغداق هو سد عوز
الأمير وحاجته ، فان الاقطاعات لم تضم الغابات والمروج
والقرى والجبال والصحارى ، بل انجلت ارضاً صالحة للزراعة
تغل مبلغاً معيناً من المال في كل عام . وكانت حدود تلك
الاقطاعة ، بالطبع ، معينة في الشهادة المعطاة للاقطاعي من
السلطان ٢ .

- ١ راجع ما ذكرته عن هذا في J. R. A. S. ١٩٣٧ ، ص ١٠١
- ٢ - ١٠٢ . ان حق استخراج الملح من نهر الذهب يعتبر قسماً من اقطاعة
حاكم حلب العام (ابن الشحنة ، ص ٤٧ ، س ١٤ - ١٥) .
- ٢ ان الغابات المصرية كانت من ممتلكات السلطان (خطط ،
م ١ ، ص ١١٠ ، س ٣٠ - ٣١ ، ٣٧ ، الى ص ١١١ ، س ١٠) . واكثر
الغابات اللبنانية والسورية والفلسطينية كان يستعملها الجيران دون
تضييق (دمشق ، ص ١٩٩ ، س ١٣ . ابن الشحنة ، ص ١٢٧ ،

وقد اعتبرت الأرض غير المزروعة، في دنيا الاسلام،
مشاعاً يحق لكل ممالك ان يتصرف به مرعى للمشيته^١ .
ولقد خص السلطان قبائل البدو التركان^٢ بالمراعي

(س ١٢) . اما طيور الصيد فكانت محسرة من قبل بلاط السلطان .
(ظاهري ، ص ١١٥ ، س ٤ ، ص ١٢٧ - ١٢٨ . صبح ، م ٤ ، ص ٢٢ ، س ١٤ - ١٦) . وللسلطان ايضاً اراض خاصة للصيد في صحراء
ليبيا اعتاد ان يقتنص فيها ، وتقع بين الاهرام و « الحمامات البحرية »
(ابو الفداء ، م ٤ ، ص ٣٠ ، ٣١ ، ٩٣ . صبح ، م ١٤ ، ص ١٦٦ -
١٧١ . منهل ، م ٣ ، فقرة ٦٤ ، ١٤٨) . وحكام سوريا ولبنان
وفلسطين ، كانت لهم اماكن للصيد هناك في الاراضي غير المحروثة
(صبح ، م ٤ ، ص ٢١٧ ، س ٩ - ١٣) . ولكن تلك الاماكن
التي يصطادون فيها لم تكن تحسب قسماً من اقطاعاتهم . لذا لم
يستعملوها الا في فصل معين من فصول السنة .

١ وفي اراضي القرى المحروثة بعد الحصاد (راجع صبح ،
م ٧ ، ص ٢٠٣ ، س ١٦) ، وقانون الاراضي العثماني لعام ١٨٥٨
مادة ١٢٥ . على كل ، كان اصحاب الاقطاعات في مصر يدفعون
الضرائب عن اراضي المراعي التابعة رسمياً للقرية التي يملكون .
٢ سلوك ، م ١ ، ٢ ، ص ٢٣ . نجوم ، م ٦ ، ص ٣٤٠ ، س ٧ .
وقليلاً ما ترم المصادر على ذكر القبائل الكردية نظراً لقلة عددهم ،
لان اكثرهم هاجر الى سوريا بعد عام ١٢٥٨ (سلوك ، م ١ ، ص
٧٩ - ٨٠ ، ٨٣ . تعريف ، ص ١١١ ، س ١٠ - ١١) .

الخضراء ، خوف توتر العلاقات وتجنباً لوقوع الخلاف بينها دون ان تكون ملكية الأرض حقاً من حقوقهم .
فقبيلة « الفضل » ، التي ذكرنا آنفاً ، ضربت خيامها في الصحراء لأن اقطاعاتها لم تضم إلا مروجاً مزروعة ومدائن أهلة ١ .

ولم تكن المدن او القرى في جوار الأرض التي يقطنها الاقطاعي دائماً ، بل صح العكس في ذلك اذ امست الاقطاعات في سوريا ولبنان وفلسطين ، بعد عام ١٣١٣ ، مبعثرة مشتتة ، بعيدة عن المقاطعة التي يخدم فيها الأمير والفرسان . وكذلك بدا الأمر في مصر بعد ١٣١٥ ، حين شاهدنا الامراء والفرسان يخدمون في احدى الاقطاعات . بيد ان إخافتهم ارتمت بعيدة عن المكان الذي يقطنونه بعداً شاسعاً .

وكان ملك « الامير » في مصر يتراوح بين قرية

١ ابو الفداء ، م ٤ ، ص ٧٣ ، س ٨١ - ٢٤ . ص ١٨ ، س ١

واحدة وعشر قرى ، في حين ان المملوك الملكي لم يصبه
الا ضيعة واحدة ، وفي بعض الأحيان نصف ضيعة او اقل .
اما فرسان الحلقة فكان لهم قسم من قرية ليس الا ١ .
ومنذ عامي ١٣١٣ و ١٣١٥ شرع السلطان باعطاء
الاقطاعي الواحد اقساماً من قرى مختلفة عوض ان يمنحه
قرية بكاملها . فراح يتنازل عن عدة رقع من الأرض
تبعثرت هنا وهناك ، بدل ان يعطي ارضاً واسعة في مكان
واحد لاقطاعي واحد ٢ .

اما تقسيم الأراضي الصالحة للزراعة بين الفلاحين
والمزارعين فيتكرر في بدء كل سنة ، ويوكل امر الأرض
وزراعتها الى بطن من بطون العشيرة التي تقطن القرية .
وهذا التقسيم على الشكل الآنف معناه ، عملياً ، خلق زعيم
يتأسس رهطاً من القبيلة وقسماً من مزارعها .

- ١ صبح ، م ٣ ، ص ٤٥٧ ، س ١٥ الى ص ٤٥٨ ، س ٢ .
٢ خطط ، م ١ ، ص ٩٠ ، س ٦ - ٨ . منهل ٥ ، فقرة ٩٦ ،
س ١٩ - ٢٠ . ابن بجي ، ص ١٦٤ ، س ٤ - ٥ .

اما المدن المعطاة كاقطاعات فقد ربت حجماً عن
القرى بقليل . وباستطاعتنا ذكر بعض منها : " سرمين " ١ ،
" معرة النعمان " ٢ ، " سامية " ٣ في شمال سوريا ، ومدينة
" نابلس " ٤ في فلسطين ، و " يشمون " ٥ و " دمنهور " ٦ ،
و " اطفيح " ٧ و " أسوان " و " عيذاب " ٨ في مصر .

- ١ ضمن اقطاعة الفضل (ابو الفداء ، م ٤ ، ص ٧٣ ، س ١٩ ، ص ١٢٠ ، س ٢ ، ص ١٤٢ ، س ٢٦ ، ص ١٤٤ ، س ٩) .
موضع صناعة الصابون (ابن باطوطة ، م ١ ، ص ١٤٥) .
- ٢ معطاة عام ٧١٦ هـ . للامير محمد الفضل (ابو الفداء ، م ٤ ، ص ٨٣ ، س ٣ - ٤) .
- ٣ داخلة ضمن ممتلكات « الفضل » منذ عام ٦٥٨ هـ . (ابو الفداء ، م ٣ ، ص ٢١٤ ، س ٢٦ . ابن خلدون ، م ٦ ، ص ٩ ، س ٩ . صبح ، م ٤ ، ص ٢٠٦ ، س ٧) .
- ٤ كانت عادةً مقسومة بين اميرين تركيين على عهد الايوبيين وفي بادىء عهد المماليك (سلوك ، م ١ ، ص ٨٣ ، م ١ ، ص ٢ ، ص ١٧٢ - ١٧٣ ، منهل . م ١ ، فقرة ٥) .
- ٥ تعطى احياناً كاقطاعة لبعض امراء المئة (ابن الجيعان ، ص ٤٦ . ابن دقاق ، م ٥ ، ص ٦٩) . فيها مقاطعة « الدقهلية والمرتاحية » .
- ٦ ابن الجيعان ، ص ١١٦ . ابن دقاق ، ص ١٠١ . وفيها البحيرة .
- ٧ ابن الجيعان ، ص ١٤٧ . فيها مقاطعة « الطفيحية » .
- ٨ في عام ١٣٧٥ كان سيدهما الحاكم العام لاصر العليا (علي

أما المدن المهمة ، شأن القاهرة ودمشق وحلب حيث
قطن أكثر الأمراء والفرسان ، فقسمت إلى أجزاء عدة ،
وإدارتها السلطان أو ممثله المركزي المعروف بالحاكم العام .
غير أن حق اسناد الاقطاعات ومراقبتها ظل منوطاً
بمجلس حكومي مختص بها يعرف « ديوان الجيش » أو
« ديوان الاقطاع »^١ . والمكتب الرئيسي في القاهرة
ينقسم إلى فرعين :

- ١ - ديوان الجيش المصري مخصص لمصر .
- ٢ - ديوان الجيش الشامي مخصص بالاقطاعات
السورية واللبنانية والفلسطينية^٢ . وفي كل ديوان منهما
موظف أعلى عرف « بالمستوفي » وأحياناً « بالمتولي » أو
« الصاحب » أو « الكاتب » لهذا الفرع أو لذاك^٣ .

زعم ابن الجيعان (، ومنهم الأمير « يشبك الدوادار » .
١ تعريف ، ص ٨٨ ، ص ١٨ ، ص ٨٩ ، ص ٨ -- ٩ . خطاط ،

م ٢ ، ص ٢١٧ ، ص ١٨ - ٢٨ .

٢ ظاهري ، ص ١٠٣ ، ص ١٥ - ١٩ .

٣ سارك ، م ١ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٥ ، رقم ٨٥ . ابن أبياس ، م ٤ ،
ص ٣٥ ، ص ٥ - ٦ ، ١٦ ، م ٥ ، ص ٤ ، ص ٨ ، ١٨ . سخاوي ،

وفيما عدا هذين المستوفيين ، فقد عين كاتبان أدنى درجة منهما يعملان على مراقبة اقطاعات البدو والاقطاعات المعطية معاشاً او تقاعداً لبعضهم ^١ .

وقد عين مدير مدبر في كل ديوان ، وهو ارفع رتبة من " المستوفي " ، ويحمل لقب " ناظر ديوان الجيش " ، مسؤول رأساً امام السلطان ، بينما مساعدته " صاحب ديوان الجيش " مسؤول امام نائب السلطان نفسه ^٢ . وتشعبت من " ديوان الجيش " فروع في كل مركز

م ١١ ، ص ٢٤١ ، س ٢ - ٥ . في دفاتر ديوان الجيش . انظر نويري ، م ٨ ، ص ٢٠٠ - ٢١٣ . يحيى بن الجيعان ، مستوفي مصر عام ٨٨٢ - ٨٨٥ هـ . (ابن اياس ، م ٢ ، ص ١٧٤ ، ١٩٦) ، يعطينا في مؤلفه « التحفة السنية » اسباباً مفصلاً عن توزيع الاراضي المصرية عام ١٣٧٥ ، وفي زمانه .

١ سلوك : ان مستوفي الصعبة الذي كان يدير المساحة لم يكن كاتباً في ديوان الجيش ، بل ملحقاً بالوزير (صبح ، م ١١ ، ص ٩٤ . ضوء الصبح ، م ١ ، ص ٢٥١) .

٢ صبح ، م ٤ ، ص ١٦ ، س ١٧ - ١٩ ، ص ١٧ ، س ١٣ ، ١٨ - ١٩ .

رئيسي لكل مقاطعة ١ .

اما مدخول الاقطاعات فيحسب ، في ديوان الجيش ،
بعملة مختلفة تعرف " بالدينار الجيشي " ، وقد تبدلت قيمته
في ظرف ستين سنة تبديلاً ظاهراً . فبينما كان يساوي عام
١٣١٥ من سبعة الى عشرة دراهم . (حسب درجة الاقطاعي
ورتبته) امسى يساوي ١٣ درهماً ونصف عام ١٣٧٥ .
لكن ، بعد هذا التاريخ ، فقد الدينار الجيشي الوهمي
كل علاقة تربطه بوحدات العملة الحقيقية . بيد انه ظل
يتخذ مقياساً لحساب مدخول الاقطاعات والقرى ، على
التقريب .

ونحن ، شخصياً ، عثرنا على قائمتين من " العبرة " ،
(وهي كناية عن معدل لمدخل جميع الاقطاعات المصرية
بالدينار الجيشي) ، إحداهما تحمل تاريخ عام ١٣١٥ ،
والاخرى تبدو ذات قالب مطاط ، ويخيل انها مقياس

١ حسب زعم ظاهري ، ص ١٣٤ ، س ٨ ، وفي الاسكندرية ايضاً .

لذلك الدخل خلال فترة حكم المماليك . والذي استخلصنا معرفته من هاتين القائمتين هو ان دخل اقطاعة " امير مئة " يتراوح سنوياً بين ثمانين ألفاً ومئتي ألف دينار جيشي (وفي ١٣١٥ من ٨٥ الى مئة ألف دينار) ، ودخل اقطاعة " امير الطبل " من ٢٣ الى ثلاثين ألفاً (وفي ١٣١٥ من ١٥ الى ٤٠ ألفاً) ، وإخاذاة " امير عشرة " تسعة آلاف دينار واصل (من خمسة الى عشرة آلاف عام ١٣١٥) ، واقطاعة " امير خمسة " ثلاثة آلاف دينار . وللمملوك (عام ١٣١٥) من الف الى الف وخمسمئة دينار . واقطاعة " فارس الحلقة " من مئتي وخمسين ديناراً الى ثلاثمئة (الى الف عام ١٣١٥) ١ .

والذي ورد في « العبرة » ليس الذي كانت تغله الاقطاعة على صاحبها في العام ، بل ما فرض عليه ادخاله في « السنة الجيشية » او « السنة الخراجية » كما

١ لقد قابلت شخصياً هذه اللائحة باكثر تفصيلاً في J. R. A. S. ١٩٣٧ ، ص ٩٩ - ١٠٣ .

ينعتونها ايضاً ١ .

اما المفكرة التي كانت تتبع لمعرفة تاريخ الاستحقاقات فكانت مثل كل المفردات الشمسية العادية ، الا انها نمت حسب السنة الاسلامية الهلالية .

وقد عرف ما تدخله الاقطاعات " بالمال الخراجي " ٢ ،
بينما عرفت الضرائب المفروضة حسب الشهر الهلالي الاسلامي " بالمال الهلالي " ٣ .

وبما ان السنة الشمسية تربو على السنة القمرية بـ ١/٣٣ ، لذا وجدنا ديوان الجيش يضع جانباً ١/٢٣ من المجموع كما يتسنى له اجراء حساباته على السنة الهلالية .
اما هذه العملية التي تنعت " بتحويل السنين " ٤ ، فقد

١ صبح ، م ١٣ ، ص ٩٧ ، س ١١ . ابن اياس ، م ١ ، ص ١٥٩ ، س ٩ ، م ٤ ، ص ٣٩٢ ، س ١٩ .

٢ نويري ، م ٨ ، ص ٢٤٥ ، س ٨ . خطط ، م ١ ، ص ١٠٣ ، س ٢٢ . صبح ، م ٣ ، ص ٤٥٢ ، س ١٤ .

٣ نويري ، م ٨ ، ص ٢٢٨ - ٢٣٣ . خطط ، م ١ ، ص ١٠٧ ، س ٦ - ٩ . صبح ، م ٣ ، ص ٤٧١ .

٤ راجع الاسباب الحقيقية (ابن اياس ، م ١ ، ص ١٥٩ ، س ٩ .

لجأ اليها المالك ابان اجراء الحسابات وجمع الضرائب من
الفلاحين حسب الشهر القمري ^١ .

وكثيراً ما أرغم الفلاح على دفع " التفاوت الجيثي " ^٢ ،
اي ذلك الفارق بين السنة القمرية والشمسية .

اما هذه العملية فكانت تتبع خاصة عندما يتخلى
الاقطاعي عن إخاذته ، او غب نقله الى مقاطعة اخرى ،
او عند وفاته ، لكي يتسنى " لديوان السلطان " معرفة ما
اذا كان الاقطاعي قد وفى ما فرض عليه من الضرائب
او دفع اكثر من المتوجب عليه دفعه . و " ديوان

ابن خلدون ، م ٥ ، ص ٤١٠ ، س ٧ - ١٠ . صبح ، م ١٣ ، ص
٧٥ - ٧٩) ، وراجع الحساب النظري في « صبح » ، م ١٣ ، ص ٦٢ ،
س ١ - ٨ .

١ ان اول غرض كان يرمي اليه « التحويل » هو تجنب تجميع
كهذا (صبح ، م ١٣ ، ص ٥٥ ، س ١٦) .

٢ ابن خلدون ، م ٥ ، ص ٤١٠ ، س ٩ . نويري ، م ٨ ، ص
٢٠١ ، س ١٦ . ابو الفداء ، م ٤ ، ص ١٤٩ ، س ١١ - ١٤ .
C. I. A. ، سوريا الشمالية ، رقم ٤٤ (لم يفهما « بكر » جيداً
في « دار اسلام » ، م ١ ، ص ٩٨) .

السلطان « او « ديوان المرتجع » كان تحت اشراف رجل يعرف « بمستوفي المرتجع »^١ . اما الاقطاعة الشاغرة من جراء انتقال صاحبها او وفاته فيوكل استثمارها الوقت الى « ديوان الذخيرة » الى ان ينعم بها السلطان على اقطاعي آخر رضيت مشيئته عنه^٢ .

اما مراقبة الحالة الزراعية في الاقطاعات واعادة النظر كل ثلاثة اعوام في الضريبة المفروضة على اصحابها فكان من واجب « كاتب ديوان الجيش »^٣ ، كما انه يترتب عليه تدوين كل هذا في « سجل المساحة » . وكل من اراد اليوم ان يطلع على تبدل احوال تلك القرى

١ نويري ، م ٨ ، ص ٢٠١ ، س ٦ . خطط ، م ٢ ، ص ٢١٧ ، س ٢٩ - ٣١ . صبح ، م ٤ ، ص ٣٣ ، س ١٦ . ظاهري ، ص ١١٠ ، س ٤ - ٧ . C. I. A. سوريا الشمالية ، رقم ٤٤ . سخاري ، م ١٠ ، ص ٢٨٩ ، س ١٤ - ١٨ .

٢ ابن اياس ، م ٢ ، ص ٢٧٧ ، س ١٦ . ص ٣٠٥ ، س ٨ ، م ٤ ، ص ١٤ ، س ١٦ . حوادث ، ص ٤١٨ ، س ٨ ، ص ٤٥٢ ، س ١٨ - ٢٠ . ظاهري ، ص ١١٠ ، س ٣ - ٤ .

٣ نويري ، م ٨ ، ص ٢٩٧ ، س ٧ - ١٣ .

والاقتاعات المصرية ، لا بد له (على زعم ابن الجيعان)
من التعويل على تلك السجلات ، ولا سيما سجل عام
١٣١٥ ١ .

وكان ديوان الجيش يسجل النقص الطارئ على
مدخول الاقطاع لا الزيادة المتأتية عليه ، لأنه لو دون
الزيادة الحادثة لحاول الاقطاعيون اخفاء ما تغله اراضيهم
عن اعين " كاتب الديوان " ، وذلك مخافة ان تشعر الدولة
بنمو الاقطاع وازدهارها فتنقص منها ، معتبرة انها
اصبحت تزيد على حاجة الاقطاعي المعطاة له ٢ .

وقد جاهد السلاطين محاولين ضم الاقطاعيين شيئاً
فشيئاً الى الحكومة الرئيسية ، اذ اننا في مطلع دولة

١ راجع ابن الجيعان ، ص ٥ ، س ١٦ ، ص ٦ ، س ١٠ - ١١ ،
ص ٣٩ ، س ٣ ، ص ٩٩ ، س ٧ ، ص ١٠٦ ، س ٢٥ الخ (لاحظ
الشواذ في ص ١٣٩ ، س ١ - ٢ ، ٢٧) .

٢ راجع ابن الجيعان (خاصة ، ص ٦٥ ، س ١٦ ، ص ٨٠ ، س
١٧ ، ص ١٣٨ ، س ١١ ، ص ١٦٠ ، س ١٦) . صبح ، م ٣ ، ص
٤٤٢ ، س ١٢ - ٢٠ . ضوء الصبح ، م ١ ، ص ٢٥٨ ، س ٢٣ .

المالك كنا لا تزال نشاهد بعض التأثير " اللاتيني " و " الايوبي " الذي يجعل الحكم الاقطاعي وراثياً . فالابن كان يرث عن ابيه الاقطاعة والحكم فيها معاً ^١ . اما الذي هدف اليه سلاطين المالك فهو وضع حد نهائي « للروك » اي تقسيم الاراضي بين الاقطاعيين والسلطان . وهذه الفكرة ، كما ذكرت في موضع آخر ^٢ ، مقتبسة عن المغول . اما الفكرة في تطبيقها عملياً فمأخوذة عن التقسيم

١ راجع ملاحظاتي عن التأثير اللاتيني في « Journal of the Royal Asiatic Society » عام ١٩٣٧ ، ص ٩٧ - ٩٩ .
٢ مجلة الدروس الاسلامية ١٩٣٥ ، ص ٢٢٩ - ٢٣١ . خطط م ١ ، ص ٨٢ - ٨٣ . استعمل تعبير « الروك » بمعنى التقسيم السنوي لممتلكات الدولة على دافعي الضرائب في زمن الفاطميين . وهذا التقسيم كان ايضاً مسبوقاً بقياسة المساحة ، لكنه لم يكن صورة طبق الاصل « للروك » المالك فيما يختص في تقسيم مشاعات القرى .

ونرى ايضاً على عهد العباسيين فكرة الاراضي « الحراجية » ، وهي تقسم المدخول بين المسلمين بتمام الشكل الذي يقسم فيه مدخول القرى بين القرويين على عهد المالك (راجع كتاب الحراج لابن يوسف عن الفراء ، القاهرة ، ١٣٤٦ ، ص ٧٥ ، س ١٩ ، ص

السنوي الذي يحدث في القرى كل عام .
 والتقسيم يجري على الوجه التالي : يأمر السلطان
 بأجراء كشف مستعجل يطلق عليه اسم " كشف البلاد " .
 ثم تقسم الأملاك بين السلطان والاقطاعيين . وبعد هذا
 تقسم املاك الاقطاعيين الى إخاذات من درجات مختلفة ،
 ثم توزع الاقطاعات هذه على الامراء والفرسان ، فيأخذ
 كل منهم نصيبه حسب درجته او رتبته العسكرية .
 وقد ضمت الدولة ثلاثة " روك " : " الروك الحسامي "
 في مصر عام ١٢٩٨^١ ، و " الروك الناصري " في سوريا
 ولبنان وفلسطين عام ١٣١٣^٢ ، و " الروك الناصري " في

٩٥ ، س ٢٠ ، ص ١٠٣ ، س ٢ ، ص ٢٨ ، س ٢) . ويمكننا ان
 نستنتج تفسيراً لهذا التعبير كما يعرضه « الماوردي » وواضع القواميس .
 ١ خطط ، م ١ ، ص ٨٨ . سلوك ، م ٢ ، ص ٦٥ . ابو
 القداء ، م ٤ ، ص ٣٩ . ابن خلدون ، م ٥ ، ص ٤١٠ . صبح ، م ٣ ،
 ص ٤٣٦ . Anonym ، ص ٤٥ . ابن يحيى ، ص ٩٦ . ابن أبياس ،
 م ١ ، ص ١٣٧ ، م ٤ ، ص ٤٨٧ . منهل ، م ٥ ، فقرة ٥٥ .
 ٢ ابن يحيى ، ص ٧٩ ، ٨٩ - ٩٦ . Anonym ، ص ١٦٠ . ابن
 أبياس ، م ١ ، ص ١٥٩ . ذهبي ، م ٢ ، ص ١٧٠ . ابن حجر ، م ٢ ،

مصر عام ١٣١٥^١ .

وقبل « الروك » الثلاثة كان للسلطان والماليك
الملكيين معاً اربعة قراريط من الأرض المصرية بكاملها
(والقيراط يساوي ١/٢٤) ، وللأمراء عشرة قراريط مع
المراعي ، ولفرسان الحلقة عشرة قراريط . اما عام ١٢٩٨
فأصبح تحت تصرف السلطان وحده ، عدا الماليك الملكيين ،
اربعة قراريط ، وهي ارض خاصة به تعرف « بالخاص »^٢ .

ص ١٧١ . ربما كان « الروك » المركزي لحاكم غزة العام « سنجر
الجاولي » بعضاً من الروك العام . منهل ، م ١ ، فقرة ١٦ .

١ خطط ، م ١ ، ص ٨٨ - ٩١ ، ٩٥ ، م ٢ ، ص ٢١٧ -
٢١٩ . Anonym ، ص ١٦٤ . ابن اياس ، م ١ ، ص ١٥٩ . صبح ،
م ٣ ، ص ٤٣٦ ، م ٣١ ، ص ١٨١ . ابن الجيعان ، ص ٩٩ ، ١٠٦ ،
١٢٩ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، (وذكّرت فقط لفظة « الروك » : ص ٥ - ٧ ،
٣٩ ، ١١٦ - ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٥ - ١٣٦ ، ١٧١ ، ١٨٥ .
ابن حجر ، م ١ ، ص ٣٥٩ . منهل ، م ٥ ، فقرة ٢٠٤ .)

٢ ان هذه الممتلكات التي يرثها السلطان الجديد من سلفه
يجب ان نفرقها كل التفريق عن ملك السلطان الذي يرثه ابناؤه .
وبعد تأسيس « ديوان الخاص » أصبحت غلة ممتلكات الخاص مورد
السلطان الرئيسي . اما تقسيم الاراضي قراريط قبل توزيعها

وللهاليك الملكيين تسعة قراريط ، وللأمراء وفرسان الحلقة
معاً احد عشر قيراطاً . وبقيت قسمة السلطان تزداد على
هذا المنوال حتى جاء عام ١٣١٥ ، فاذا بالسلطان يملك وحده
عشرة قراريط ولباقي الناس ، كلهم معاً ، اربعة عشر
قيراطاً .

ولما اعتلى السلطان " الاشرف شعبان " سدة الحكم ،
انقص من " الخاص " ليعطي اخوته واقاربه ١ . لكنه
احتفظ بالمدن الكبرى شأن « الاسكندرية » و « دمياط »
و « روزته » ٢ (او الرشيد) .

هذا في مصر . اما في سوريا ولبنان فقد تضخمت

فيرتكز بالارجح على « العبدة » وليس على المساحة .
ان التنقيص من اقطاعات الامراء وفرسان الحلقة عام ١٢٩٨
كلّف السلطان « لاجين » عرشه ورأسه رغم انه تساهل وعين ١١
قيراطاً لتلك الاقطاعات عوضاً عن القراريط العشرة التي كان
قد نوى اعطاءها في البدء .

١ راجع منهل ، م ٣ ، فقرة ١٥١ ، وفهرست الاسماء الشخصية
عند ابن الجيعان .

٢ ظاهري ، ص ١٠٨ . ابن الجيعان ، ص ١٣٨ .

اراضي السلطان (الخاص) وازدادت توسعاً ، اذ انه اضيف اليها عام ١٣١٣ سـهل الشام اخصب وبعض القرى الواقعة على طريق مصر - الشام التي أستعملت محطات منظمة لعربات البريد وخيول الموزعين . زد على ذلك الاجحاف في توزيع الأراضي ، فلقد وزعت على الاقطاعيين قطع متفرقة من الأرض بعيدة عن المكان الذي يقطنه اصحابها ، بل قل في اماكن يعتبر فيها الامراء والفرسان غرباء ١ .

فكان لذلك البعد الفاصل بين الاقطاعية وصاحبها اثر فعال في طريقة استغلالها اذ ان صغار الاقطاعيين غدوا مضطرين لحراس اقوياء يبسطون حمايتهم على ملكهم الشاسع مما اثر في ايجاد " الحماية على الأراضي " . فالوكيل الشديد البأس يحمي الأرض ويأخذ ما فرضه على الفلاحين المزارعين من ضريبة ، ثم يرسل المطلوب منها الى صاحب

١ ابن يحيى ، ص ٩١ ، س ٧ - ٨ .

الاقطاعة . ومن يكون ، يا ترى ، اقوى نفوذاً من
السلطان نفسه لحماية تلك الاقطاعات ؟ لذلك رأيناه يبسط
حمايته عليها بعد ان منع " امراء المئة " من حماية فرسان
الحلقة الذين يأمرؤن ^١ . فقامت أثر هذه التدابير مكاتب
حماية عديدة للسلطان اشهرها : " ديوان الخاص " ، و " ديوان
الدولة " ، و " ديوان المفرد " ، و " ديوان الذخيرة " ، وخاصة
" ديوان المستأجرات والحماية الشريفة " الذي اسسه
السلطان « فرج » وقد اوفد « استدار » يمثله في كل
مدينة او قرية كبيرة ^٢ .

قوبلت طريقة الحماية هذه بعدم التهليل من جميع
الناس تقريباً : فالسلطات تلقاها عقبة امامها لان حماة
الاقطاعة كثيراً ما حاولوا رفض تسليم اي من رجالهم

١ خطط ، م ١ ، ص ٨٨ ، س ٥ - ١٠ .

٢ ظاهري ، ص ٩٧ ، س ١٦ ، ص ١٠٧ ، س ٨ ، ص ١٨٠ ،

س ٧ ، ص ١٠٩ ، س ١٢ - ١٣ ، ص ١٣٠ ، س ١٢ - ١٣ .

خطط ، م ١ ، ص ١١١ ، س ٢٦ - ٢٨ . حوادث ، ص ٢٥٣ ،

س ١٥ ، ص ٣١٨ ، س ٢٣ . ابن اياس ، م ٤ ، ص ٢٦٢ .

الى السلطة ، اذا شاءت توقيفه ، — والاقطاعيون الصغار بدوا
على استياء مرير اذ تبين لهم ان الوكيل الجبار يأكل مال
الصغير الموكل او " لا يريه من الجمل غير اذنيه " ١ .

اما حق الحماية فكثيراً ما نقل من اقطاعي لآخر ، ومن
مؤسسة الى غيرها . وكثيراً ما اعطى السلطان رسم الحماية
إخاذه لبعض الاقطاعيين ، عوضاً عن الاقطاع . ورسم
الحماية ورد في " العبرة " مضافاً الى مدخول الاقطاع
السنوي ٢ . اما الجماعة الذين ساءت ظنون السلطان بهم ،
فهم خاصة زعماء القبائل والحكام .

١ خطط ، م ١ ، ص ٨٨ ، س ٥ - ٧ . صبح ، م ٧ ، ص
٢٠٦ ، س ٢ - ٤ . حوادث ، ص ٤٥٨ ، س ٢٢ - ٢٣ . ابن اياس ،
م ٤ ، ص ٤٨٥ ، س ١٢ .

٢ نجوم ، م ٦ ، ص ٥٨٥ ، س ٩ - ١٠ (عن الامراء الذين
وُكِّلَت اليهم « حماية » مقاطعات بكاملها) . راجع سلوك ، م ١ ،
ص ٢١١ . ابن حجر ، م ١ ، ص ٤٧٨ ، س ٣ - ٤ . وفيما يختص
بشرح كلمة « حماية » ، راجع سلوك ، م ١ ، ص ٢١١ ، ٢٥١ ،
م ٢ ، ص ١٤٧ ، م ٢ ، ص ١٢٩ .

ورغم ان الحاكم العام كان يحمل لقب "ملك الامراء"
فان امراء مقاطعته ظلوا من اتباع السلطان . اما وثيقة
"التقليد" التي يصدرها السلطان بتعيين "ملك الامراء"^١
حاكماً ، فتختلف عن الشهادة التي اعطاه اياها ليصبح
اميراً اقطاعياً ، مع انها كتبتا معاً في آن واحد . وفي
مصر ، في القرن الرابع عشر ، بسط هؤلاء الحكام
حمايتهم على بعض الاقطاعات المشتتة والملحقة بهم مع ان
بعضها يقع خارج نطاق قضائهم^٢ . غير ان هذا لم يبق
على زمن « ابن الجيعان » اذ غدا الحكام يأخذون

١ يزعم « ابن تغري بردي » ان بعض حكام الاقضية كانوا
يحصلون في زمنه على هذا اللقب بموافقة الحاكم العام طبعاً دون
ان يأتي الامر رأساً من السلطان . (حوادث ، ص ٥٧٤ - ٥٧٦ ،
٦٧٢ . سلوك ، م ١ ، ص ٩٦ - ٩٩ ، رقم ١١٣) .
٢ ابن الجيعان ، ص ٢٢ ، س ١٧ ، ص ٥٢ ، س ١٧ ، ص
٥٦ ، س ٢ ، ص ٦٦ ، س ٢٥ ، ص ١٠٢ ، س ٧ ، ص ١٠٣ ،
س ٢٧ ، ص ١١٥ ، س ٨ ، ص ١٢١ ، س ١٣ ، ص ١٥٦ ، س
١٦ الخ . وكانت الواحات فقط ، في صحراء ليبيا ، تخلع اقطاعات
على الحكام (تعريف ، ص ١٧٥ ، س ١٨ - ٢٠) .

الاقطاعات شأن غيرهم من الناس ^١ .

وفي سوريا وفلسطين ظلت هنالك اقطاعات متعلقة
بمكتب الحاكم العام او بالحكام ^٢ حتى آخر عهد المالك ،
ولكنها لم تحمل طابعاً موحداً ^٣ .

وقد تنبهنا من الاطلاع على وثيقة " ابن يحيى "
الاقطاعية ان اللبنانيين لم يترتب عليهم اداء اي واجب

١ ان الاقطاعة الوحيدة الملحقة بمركز اداري كانت اقطاعة
« زمام الآدور الشريفة » لأمير الحصان الموكول اليهم حراسة حريم
السلطان : ص ١٤٤ ، ١٦٨ ، ١٧٦ ، ١٩٤ . ولم يشذ إلا قرية
« قطيّا » (حيث كانت تفرض الضرائب على البضائع المنقولة من
سوريا الى مصر ومن مصر الى سوريا) التي أعطيت كاقطاعة عام
٩١٦ هـ . الامير الذي كان قائد الحامية المحلية هناك (ابن اياس ،
م ٤ ، ص ١٩٢ - ١٩٣ ، ٣٦٨) .

٢ ابن الشحنة ، ص ٤٧ ، س ١٤ - ١٥ ، ص ٢٦١ ، س
٣ - ٥ . مجير ، ص ٤٢٣ ، س ٦ - ٧ . كان الحاكم العسكري في حلب
يملك ايضاً اقطاعة له (ابن الشحنة ، ص ٢٣٢ ، س ١٠) .
٣ على زمن « خَشَقْدَم » كان الحاكم العام في الكرك يملك
اقطاعة امير مئة في مقاطعة الشام (حوادث ، ص ٤٨٢ ، س ١٢ ،
ص ٥٠٨ ، س ١٥ - ٢٠) .

عسكري على زمن الايوبيين والمماليك الأول ، بل اقتصرت مهمتهم على تتبع نشاط الصليبيين الحربي ١ . ولما استولى المماليك على طرابلس عام ١٢٨٩ ، ازداد سلطانهم بأساً وقويت شوكتهم في لبنان ، فصادر السلطان « قلاوون » الشهير اقطاعات اللبنانيين وجردهم منها قاطبة محتفظاً بها لمن سيقطنون طرابلس من فرسان الحلقة ٢ . لكن اولئك الزعماء لم يعتمدوا ان استعادوا اكثر اقطاعاتهم شيئاً فشيئاً . غير انهم في هذه المرة امسوا من فرسان الحلقة او اصبحوا امرءاً من درجة معينة ، يتوجب عليهم حراسة الطرق والشواطىء في اماكن معينة ٣ .

١ واذا لم تكن السلالات اللبنانية واضحة ، رأينا بني بختو يتلقون الشهادات الاقطاعية من الحكام اللاتينيين والولاة المماليك في آن واحد (منذ ابيك) ، ومن السلطان الايوبي في دمشق حتى الجنرال « هولاكو » المغولي الذي غزا سوريا عام ١٢٦٠ (ابن بجي ، ص ٥٥ - ٥٨ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٨٠) .

٢ ابن بجي ، ص ٧٧ - ٧٨ ، ٩٠ . ابن حجر ، م ٢ ، ص ٥٥ . تستثنى اقطاع ابن المعين .

٣ ابن بجي ، ص ٣١ ، ٤٢ - ٤٣ ، ٧٨ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٣٤ .

وكثيراً ما قطن الزعيم قرية غيره من الأقطاعيين ، بعيداً عن إخاذته ، يدفع إيجار مسكنه ومنزله ^١ . أما البدو (كما يستدل من المعلومات المأخوذة عن ابن الجيعان) فكان لهم في مصر في القرن الخامس عشر اقطاعات تفوق ما ملكوه في القرن الرابع عشر مساحة واتساعاً . والسبب الرئيسي في ذلك ان السلطان ضرب بيد من حديد على عصاة البدو الشائرين وعاقبهم معاقبة صارمة لا تقعد على ضمده . لذلك اعطى زعماءهم إخاذات واسعة الانبساط

ابن حجر ، م ٢ ، ص ٥٥ . شدياق ، ص ٢٣١ . وفي عام ١٣١٣ ازداد العارض الذي كان على الزعماء الاحتفاظ به (ابن يحيى ، ص ٨٩ ، ص ٢٢ ، ص ٩٠ ، ص ٣ ، ص ٩ ، ص ٢٣) ، ففدا الزعيم الكبير صاحب النفوذ الواسع يضم في خدمته الزعماء الثانويين لمالك عاديين (ص ٩٧ ، ص ٣ ، ص ٩٨ ، ص ٢ - ١٠) .
١ بعد « الروك » كان ناصر الدين ، احد زعماء « بختو » ، مستأجراً ارض امير توكي يعرف بـ « صاروجه » في قريته « عبيه » ، بينما كان هناك زعيم آخر يدعى « سيف الدين مفرج » يستأجر في قريته « عرامون » ارضاً من الزعيم ناصر الدين (ابن يحيى ، ص ٩٣ ، ١٠٢ - ١٠٣ . لمعرفة « صاروجه » راجع « ابن حجر » ، م ٢ ، ص ١٩٨ ، رقم ١٩٥٤) .

محاولاً كسب عطفهم من ناحية الارضاء الاقتصادي^١ .
وبما ان عدد الجيوش كان شيئاً عارضاً لا يستقر على
ثبات ، كذا بدت الاقطاعات متغيرة متبدلة . فكم من
مرة جمعت فيها اقطاعات صغيرة لتصبح اقطاعة مترامية
الأطراف لأمير عال ، وكم من مرة أخرى قسمت اقطاعة رحبة
الى إخاذات صغيرة لتوزع على صغار الاقطاعيين^٢ .

زد عليه ان بعضاً من زعماء القبائل قد ملكوا
معاً اقطاعة واحدة . فاذا كانا اثنين ملكاها « بالمناصفة » ،
وان كانوا أكثر تصرفوا بها « شركة » يأخذ منها كل

١ وجرى عام ٧٥٤ هـ . اعدام ٧٠٠ نائر في مصر العليا ،
ولكن زعيمهم ابن الاحدب شمله العفو وأعيد الى مركزه
(ابن اياس ، م ١ ، ص ٢٠٠ ، س ٢٢ - ٢٤) . وفي « الشرقية »
كان زعماء البدو يملكون ١٤٠ ناحية (بكاملها او قسماً منها)
عام ١٣٧٥ (والنواحي اقطاعات متشابهة فيها القرى الكبيرة)
وعلى زمن ابن الجيعان ١٨٩ ناحية .

٢ حوادث ، ص ٢٨ ، ٣٢٢ ، ٣٩٣ ، ٥١٠ ، ٥١٢ ، ٥٥٧ ،
٦٠١ - ٦٠٢ . ابن يحيى ، ص ٨٤ ، س ١١ - ١٢ . ابن حجر ، م
١ ، ص ٤٧٨ ، س ٤ .

‘ قسمته ‘ حسب رتبته العسكرية ١ .

لم يكن هنالك اية قاعدة لترقية الفرسان والامراء او
لزيادة اقطاعاتهم ٢ . ففي فجر دولة المماليك كانت الاقطاعة
وراثية تعطى لولادة السلطان او لأصحاب القوة البدنية من
الورثة ، بغية مساعدتهم على اتمام الواجب العسكري
كفرسان لامعين ٣ . وقد انعمت الدولة على اولاد الامراء
بالمناح المالية واللحوم والخبز والعلف ابان نعومة اظفارهم ،
ثم اذا ما ايفعوا وغدوا شباناً ، خلع السلطان عليهم لقب
‘ فرسان الحلقة ‘ ٤ .

- ١ ابن بيجي ، ص ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٧٨ ،
١٩٢ ، ١٩٤ . صبح ، م ١٢ ، ص ٤٢٣ ، س ١٤ .
- ٢ نحن نعرف حوادث قتل وانتحار على يد جماعة غضبوا لمثل
هذه الاشياء . ابن اياس ، م ١ ، ص ٢٠٥ ، م ٢ ، ص ٢٢٥ ،
٢٥٥ ، ٢٩٥ .
- ٣ سايوك ، م ١ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، م ١ ، ص ١٧ -
١٨ . تعريف ، ص ٩٣ ، س ٦ - ٧ .
- ٤ خطط ، م ٢ ، ص ٢١٦ ، س ١٨ - ٢٤ . ضوء الصبح ،
م ١ ، ص ٢٥٨ ، س ١٨ - ٢٠ .

وبعد ذاك التاريخ ، أصبح الامراء ، في أكثريتهم ،
 منتخبين من بين المالكين المالكين ^١ الذين امتازوا بشيئتين :
 الاولى : حبهم واخلاصهم لوالي نعمتهم السلطان ، والثانية :
 ابداعهم بالفنون العسكرية . اما متين صداقتهم للسيد
 الواحد ^٢ فقد جعل منهم اناساً يؤلفون حزباً سياسياً
 حقيقياً يستغل جميع الفرص السانحة : فاذا جرى توزيع
 اقطاعات ، هبوا يطالبون بالقسم الاوفر منها ، واذا تنازع
 اميران منصب نائب السلطان ، احبوا ان يكون التاج
 فيهم . اما اذا تفشى الطاعون في الحروب مجرداً الاقطاعات
 من مالكيها ، فانهم يطالبون بها حقاً لهم ^٣ .

١ صبح ، م ٤ ، ص ١٥ ، س ١٨ - ١٩ . (منهل ، سخاوي ،
 ابن حجر) .

٢ « خشداشية » . اما عن اصل الكلمة الحقيقي فراجع سلوك ،
 م ١ ، ص ٤٣ - ٤٥ ، رقم ٦١ .

٣ ابن اياس ، م ١ ، ص ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٩٠ ، ٢١١ ،
 ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢٤٠ ، ٢٦٠ ، ٢٨٠ ، ٣٥٢ ، ٣٨١ . م ٢ ، ص ٣ ، ١١ ،
 ١٢ ، ١٦ ، ٢٥ ، ٤١ ، ٧٢ ، ٩٣ ، ٢٤١ ، ٢٧٧ ، ٣٠٥ . سلوك ، م

ونذكر ان حق الأسبقية لأخذ الاقطاعات على عهد
الشراكة أعطي للاستقراطية القوقازية^١ التي كانت على
دائم نزاع مع اولياء السلطان الحاكم^٢ .
والذي يتحتم ذكره هو تدخل بعض اصحاب النفوذ
واسطة بين السلطان والاقطاعي لاعطائه إجازة ما^٣ .
ويذكر المؤرخون ان كثيراً من الاقطاعات كانت
تشتري بالمال نقداً . اما بائعها فلما ان يكون صاحب
الاقطاعة السابق او السلطان نفسه^٤ .

٢ ، ص ١٧٤ . نجم ، م ٦ ، ص ٩ ، ٢٤٦ ، ٥١٢ . حوادث ، ص
١٧٨ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ٣٣٤ - ٣٣٦ ، ٤١٠ ، ٦٢٠ . ابو الفداء ، م ٤ ،
ص ٣٦ . في القرن الخامس عشر كان يحمل كل عضو من هذا الحزب
علامة فارقة (ماير ، ص ٣ ، ٢٣) .

١ منهل ، م ٣ ، فقرة ١٨٦ ، س ١٨ - ٢٣ . ظاهري ، ص ١١٥ ،
س ١٨ - ١٩ .

٢ حوادث ، ص ٣٣٤ - ٣٣٦ . ابن اياس ، م ٤ ، ص ١٠٧ ،
٣٤٢ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ .

٣ Anonym ، ص ٤٦ ، س ٣ . منهل ، م ٥ ، فقرة ١٩٧ ،
س ١٧ - ٢٠ .

٤ ابن اياس ، م ١ ، ص ١٨٤ . حوادث ، ص ٣٣٩ ، ٥٩٦ .

فكثيراً ما باع فرسان الحلقة إخاذاتهم لبعض المواطنين
الرسميين من رجال دين وتجار ، وسرعان ما كسب هؤلاء
المشترون حق الفروسية مع الاقطاعية المشتراة ^١ . ورأينا
أحياناً بعض الاقطاعيات تباع « للمالك خصوصيين » ظلوا
في خدمة أسيادهم ^٢ . فبهذه الطريقة أمسى « أولاد الناس » ^٣
سكاناً مدنيين يملكون اقطاعيات فرسان الحلقة ^٤ ،

١ صبح ، م ٤ ، ص ١٦ ، س ٥ . ضوء الصبح ، م ١ ، ص ٢٤٥ ،
س ١٣ - ١٤ . ابن حجر ، م ٤ ، ص ٣٦١ ، س ٩ . ابن إياس ،
م ١ ، ص ١٩٨ ، س ٧ . سخاوي ، م ٨ ، ص ٢٨٢ ، س ٨ .
وفي بعض الأحيان كان هنالك ديوان خاص بهذه التنقلات يعرف
« بديوان البذل » . خطط ، م ٢ ، ص ٢١٩ (راجع سخاوي ، م ١٠ ،
ص ١٠٩ ، س ٩ . « دلال الاقطاعيات » ، نجوم ، م ٥ ، ص ٤٠ ، ٤٢٣ ،
يسميه « ديوان البذل » (مكتب الرشوة) .

٢ انهم أحرزوا الحق بأن يكونوا ممالك خصوصيين وفرسان
حلقة في نفس الوقت عام ٦٧٨ هـ . ولكن ذلك أبطل ونقض عام
٨٢١ هـ . سلوك ، م ١ ، ص ١٧ . نجوم ، م ٦ ، ص ٣٨٦ - ٣٨٧ .

٣ راجع ابن إياس ، م ٤ ، ص ١٣٦ ، س ٥ ، ص ١٥٠ ، س ١٣ .

٤ ابن إياس ، م ٤ ، ص ١٣٦ ، س ٩ - ١٠ ، ص ١٥٠ ، س

١٧ - ١٨ .

واصبحت « الحلقة » نفسها هيكلًا جيشيًا جرد من قيمته العسكرية . لكنه بقي ، لفرسان الحلقة ، في القرن الخامس عشر ، بعض الحق في إيفاد نواب حريين عنهم (نائب لكل اثنين او اربعة من الاقطاعيين الصغار) ، وظلوا يدفعون المال لاعفائهم من الخدمة ^١ .

اما ابان الحرب الاخيرة بين المماليك والعثمانيين فلم يطلب منهم اي واجب من هذا القبيل .

وعلى غرار فرسان الحلقة ، كان الامراء والمماليك المملوكيون يفعلون ^٢ . غير انه يترتب على اقطاعيين مثل هؤلاء تأدية خدمة عسكرية واجبة .

ففي حال اصابة احدهم بعاقة بدنية (كالعمى ، والداء العضال ، وامراض الجلد المزمنة وضعف الشيخوخة) كان

١ ابن اياس ، م ١ ، ص ٣٣١ . م ٢ ، ص ١٠٥ ، ٢٣٠ . نجوم ، م ٦ ، ص ٧١ ، ٣٨٨ - ٣٨٩ .

٢ حوادث ، ص ٣٣٩ ، ٥٩٦ ، ٦٩٠ . نجوم ، م ٦ ، ص ٣٨٧ . وبهذه الطريقة اصبح بعض « اولاد الناس » من المماليك المملوكين (حوادث ، ص ٦٨١) .

السلطان يجرده من اقطاعه حالاً ١ . وزعماء القبائل باستطاعتهم ايضاً ان يبيعوا اقطاعهم ٢ كما انه كان للسلطان حق اعطائها لمن شاء ٣ .

والاقتاعات تعطى جواباً على ما يأتي :

- ١ - القصة : تقديم طلب من المرشح لاقتاعة خالية .
- ٢ - النزول : تصريح من الاقطاعي القديم بأنه تنازل عن إخادته لفلان .

٣ - الاشهاد: طلبان من اقطاعيين يريدان تبادل أخادتهما

١ ابو الفداء ، م ٤ ، ص ٥٤ . نجوم ، م ٦ ، ص ٨٥٦ . حوادث ، ص ٢١٥ ، ٣٦٤ ، ٥١١ ، ٥٧٧ . منهل ، م ٢ ، فقرة ٣١ ، م ٤ ، فقرة ٤ . وفي ظروف استثنائية كان بعض اولاد الامراء يقدون هذا اللقب ابان نعومة اظفارهم فيشدون عن القاعدة . ابو الفداء ، م ٤ ، ص ٩٢ ، س ٢٢ . امسى ابن « الغوري » « امير أخور كبير » مفتش الاسطبلات الملكية .

٢ ابن يحيى ، ص ١٥٤ ، ١٨٤ ، ١٨٦ - ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٤ .

٣ جعل السلطان « قايتباي » بعض بماليكه « شيوخاً » على القبائل البدوية ، واعطى « يشبك الدوادار » مركز امير قبيلة الهوارة . ابن اياس ، م ٢ ، ص ١٧١ ، ٣٠٢ .

الواحدة بالآخر ، او ابداء رغبتهما معاً " بالشركة " او " بالمناصفة " .

٤ - " مثال " خطي من " ناظر الجيش " بأمر من السلطان .

ولكي تجاب جميع هذه الطلبات يجب ان تصدق نهائياً بتوقيع السلطان . والتصديق كناية عن كلمة واحدة يخطها السيد الأكبر بيده . وهي ، عادة ، « يكتب » ، او احياناً كلمة « اعلامه » ، او « الشريف » ، او « الخط » .

فاذا صدق عليها السلطان حفظت في ملف " كاتب ديوان الجيش " ، ونص عنها هذا الأخير وثيقة تعرف " بالمربع الجيشى " او " المثال المربع " او " المستند " ، وتحمل صورة عن امر السلطان باعطاء فلان اقطاعه فلان (وهي كناية عن قرية كذا وكذا ... او عن الأرض الواقعة في مكان كذا وكذا ...)

وبعد اجراء المعاملات اللازمة في " ديوان الجيش " ترسل الى رئاسة " ديوان الانشاء " ، فتعين بدورها من

سيكتب " المنشور " . وما " المنشور " سوى نسخة ، طبق الأصل ، " للمربع الجيشي " زيدت على اولها القاب الاقطاعي الجديد وصفاته . اما طول المقدمة ، ونوع قطع الورق ، وكلمة الاستهلال (الحمد لله ، اما بعد ، خرج الامر) ، فتغيرة حسب درجة الاقطاعي ومنزلته .

وقبل عهد سلطنة « الأشرف شعبان » كان يوضع على وثيقة « امير المئة » و « امير الطبل » قطعة من الورق ختم عليها اسم السلطان وألقابه تعرف « بالطغراء » . اما علامة التصديق على تلك الوثيقة فجملة من التعابير الدينية نحو " حسبي الله " (ايبك) ، و " المستعان بالله " (يبرس الأول) ، و " الله املي " (السلطان محمد قلاوون) . غير ان « المربع الجيشي » المختص بفرسان الحلقة في سوريا ولبنان وفلسطين فيعرف " بالرقعة " ، يصدق اولاً من الحاكم العام في فرع الديوان الجيشي جواباً على " النزول " او " الاشهاد " او " المثال " او " القصة " ، ثم يرسل الى القاهرة حيث يحتفظ به مع « مثال » عادي .

اما المماليك الملكيون فيأخذون وثائقهم الاقطاعية من
اسيادهم ، لا من " ديوان الانشاء " التابع للسلطان . لذلك
فرض على اولئك الأسياد الامراء وجوب اعلام « ديوان
الجيش » بكل مملوك ينخرط في خدمتهم او بكل فرد
يصرف منها ^١ .

١ لاجل التفصيل انظر نويري ، م ٨ ، ص ٢٠٧ - ٢١٠ .
خطط ، م ٢ ، ص ٢١٦ - ٢١٧ . تعريف ، ص ٨٨ - ٩٠ . صبح ،
م ٤ ، ص ١٩ ، ٥١ ، ١٨٤ ، ١٩٠ ، ٢١٧ ، م ٦ ، ص ٢٠١ ،
٢٠٢ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ ، م ١٢ ، ص ٢١٨ ، م ١٣ ، ص ١٥٣ - ١٩٩ .
ابن يحيى . ساوك ، م ١ ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ ، م ٢ ، ص ٩٧ .
ظاهري ، ص ١٠٠ ، س ١٤ - ١٥ . حوادث ، ص ٣٣٥ ، س ١٥ -
١٧ . « يكتبات » في ابن اياس ، م ٤ ، ص ١٣٦ ، س ٧ ، ليست
غلطة كما يظن المؤلف . ان بيع الاقطاع كان عادةً يصبح شرعياً
بعد « النزول » . اما الامراء الدروز الذين يحملهم قانون دينهم
الخاص على توزيع املاكهم بين ورثتهم حسباً شاؤوا فكانوا
يحاولون ان يجعلوا ذلك التقسيم شرعياً « بنزول » اذا جرى التقسيم
هذا غب ايام حياتهم (راجع بورون ، ص ٣١٤ ، وفولني ، م ٢ ،
ص ٧٣) . وعندما يحدث النزول يكتبون في الوقت نفسه « كتاب
التمليك » ، (نزول) ، الذي ينص على بعض التعليقات والذي يبقى

والذي تتفكه بالمر على ذكره هو أن كل امير يعطى
يوم تنصيبه راية وبوقاً^١ .

في حفظ العائلة وحراستها (ابن يحيى ، ص ٥٦ ، ٦٠ ، ٨١ ،
١٣٠) . (وفعل النزول = نزل عن ل ...) .

١ « أمّتر بالبوب والعلم » : صبح ، م ٤ ، ص ٧٠ ، س ٢ ،
٧ ، ٩ ، ١٨ .

انحطاط الاقطاعات العسكرية

بعد زوال صبغة الاقطاعات الوراثية اخذ الاقطاعيون يبذلون كل ما في وسعهم ليسجلوا باسماء سلالاتهم ولو جزءاً يسيراً من ممتلكاتهم ، على ان يكون هذا اليسير غير خاضع او مقيد بالخدمة . ولقد سهل تحقيق مساعيهم وجود طبقة معينة من الممتلكات ممنوحة كنفقة او هبة "ارزاق او رزق" ^١ وتتفرع الى : اولاً : رزق عسكرية او الرزق الجيشية ^٢ او الأخباز ^٣ ، ثانياً : رزق دينية

١ حوادث ، ص ٥٧ ، س ١٧ ، ص ٤١٠ ، س ١٣ - ١٧ ، ص ٥٧٧ ، س ١٦ - ١٧ (استرزق = استفاد من دخل ، رزق) ابن اياس ، مجلد ٤ ، ص ١٥ ، س ١١ ، ١٨ ، ١٣٦ ، س ٤ - ١٩ ، ص ١٥٠ ، س ١٧ - ١٨ .

٢ و٣ ابن اياس ، مجلد ٥ ، صفحة ٤٢٠ ، س ٧ - ٩ ، ص ٤٧٥ ،

او رزق احياسية ١ او احياس ٢ . وفي كلتا الحالتين لم تكن هذه الأراضي سوى مجرد منحة اعطتها الدولة دون ان تصطبغ بآية صبغة عسكرية او غيرها، انما كانت إحساناً على سبيل البر والصدقة ٣ ليس إلا... فالرزق الجيشية هي كناية عن اقطاعات منحها قيادة الجيش : اولاً الى الامراء الذين لم يتمكنوا من اتمام خدماتهم العسكرية اما لتقدمهم

س ١٨ - ١٩ ، ٤٨٠ ، س ٢٠ . سلوك ، م ١ ، ج ٢ ، ص ١٥٩ - ١٦١ ، نفس العبارة تستعمل احياناً لكل الاقطاعات .

١ نويري ، م ٨ ، ص ٢٠٩ ، س ١ . ابن خلدون ، م ٥ ، ص ٤١٠ ، س ١١ . خطط ، م ١ ، ص ١١٠ ، س ١٧ . ابن اياس ، م ٤ ، ص ١٣٦ ، م ٥ ، ص ٢١٩ ، ٤٦٠ - ٤٦١ ، ٤٦٦ ، ٤٧٥ ، ٤٨٠ .

٢ اي الرزق الاحباسية . ظاهري ، ص ١٠٩ ، س ١٣ - ١٤ . ابن اياس ، م ٥ ، ص ٤٦١ ، س ١ - ٣ .

٣ صبح ، م ٤ ، ص ٣٨ ، س ٧ - ١٦ . ضوء الصبح ، م ١ ، ص ٢٥٠ ، س ٢٢ - ٢٣ . نجوم ، م ٦ ، ص ٦٩ ، س ٧ - ٨ ، وبالكلمات نفسها تقريباً : جبرتي ، م ٤ ، ص ٩٣ ، س ١٩ ، ٣١ ، ص ١٤١ ، س ٣٢ . اذن ، فالنعت « المبرورة » أستعمل في الوثائق الرسمية لهذه الاراضي . صبح ، م ٦ ، ص ١٨٥ ، س ١٦ - ٢٠ .

في السن واما بسبب المرض^١ ، ثانيًا الى امراء صرفوا
من الخدمة لأسباب سياسية وكانوا اذ ذاك على الاغلب
منفيين او مسجونين في القدس^٢ . ثالثًا : الى زوجات
وارامل وايتام الامراء والفرسان^٣ . رابعًا : الى اولاد
الناس بما فيهم المتحدرين من سلالة السلاطين^٤ .

١ على عهد السلطانين جقمق وخشقدام كانت هذه الاقطاعات
تعطي حوالى ٢٠٠،٠٠٠ (مئتي الف) درهم في السنة . حوادث ،
ص ٥١١ ، س ٨ - ٩ ، ص ٥٧٧ ، س ١٧ . للامير او الفارس المعتزل
الحق بان يقطن حيثما شاء ، وكان يلقب « طرخان » (صبح ،
م ١٣ ، ص ٤٨) ، بينما لقب بطشال كان يطلق على من صرف من
الخدمة او نفى .

٢ صبح ، م ٧ ، ص ٢٠٠ ، س ٩ - ١٧ . هذه الاقطاعات
كانت في اقسام فلسطين التابعة لولاية دمشق (صبح ، م ١٢ ،
ص ٣١٤ ، س ٧) . وكانت القدس المكان الرئيسي للامراء المنفيين .
منهل ، م ١ ، فقرة ٢٧ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ،
م ٢ ، فقرة ٦ ، ١١ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٨٩ ، الخ ..
٣ ابن اياس ، م ٤ ، ص ١٥ ، س ١٢ - ١٣ ، ص ١٦ ،
س ٤ - ٥ ، ص ١٣٦ ، س ٥ ، ص ١٥٠ ، س ١٥ - ١٦ ،
م ٥ ، ص ٢١٩ ، س ٧ - ٨ .
٤ منهل ، م ١ ، فقرة ٥٥ ، س ٨ - ٩ .

خامساً : الى جوامع ومدارس واديرة الدراوئش واهل
الثقافة والتقى ^١ . ومع ان هذه الاقطاعات كانت غير خاضعة
للخدمة ظاهراً أعتبرت احياناً اقطاعاً للامير او اقطاعاً
للحقة ، وعلى واضع اليد ان يحمل منشوراً بها ^٢ . اما
واضع اليد هذا فلم يكن غالباً ذا رتبة عسكرية ، وانما
كان حاملاً رخصة خاصة من سلطة الجيش معروفة
بالمربعة الجيشية ^٣ وهي غير الوثيقة التي ورد ذكرها بالاسم
نفسه آنفاً . ففي اقطاع ابن الجيعان مثلاً نجد في حالات

١ صبح ، م ٤ ، ص ٥١ ، س ١٩ ، م ٦ ، ص ١٨٥ ، س ١٩ .
٢ سخاوي ، م ٣ ، ص ٢ ، س ١١ . ابن حجر ، م ٢ ، ص
٢١٤ ، س ١٧ . ابن اياس ، م ٤ ، ص ١٣٦ ، س ٤ - ١٩ ، ص
١٥٠ ، س ١٣ - ١٨ . وعبارة اخباز مستعملة في اكثر الاحيان فيما
يتعلق بهذه الاراضي .

٣ ابن اياس ، م ٥ ، ص ١٨٩ ، س ١٦ - ٢٠ ، و ص ٢١٨ ،
س ٢٣ ، الى ص ٢١٩ ، س ١ ، ص ٢١٩ ، س ٦ ، ص ٢٨٧ ،
س ١٧ . ظاهري ، ص ١٠٠ ، س ١٩ - ٢٠ . النساء والمؤسسات
العلمية لم يكن يحق لها الحصول على المناشير مطلقاً .

عديدة ان الناحية الواحدة التي تحتوي على مئات او الوف
الفدادين كانت مشتملة على رزق وعشرات الفدادين لم
تذكر اسماء واضعي اليد عليها مطلقاً لكونهم على الأغلب
متحدين ضمن نطاق صاحب الأرض او مالك القرية ، مما
يجعلنا نفترض ان هذا المالك او السيد اراد ان يدعم حق
ملكيته بوضع يده دون قيد او شرط على مكان هام في
القرية كبئر الماء مثلاً او قناة الري او البيوت او غير ذلك .
وأصطلح على ان لفظة احباس مرادفة للفظّة اوقاف
في المدرسة المالكية للشرع الاسلامي ، وهي المدرسة الوحيدة
التي اجازت دون سواها تحويل دخل الأراضي المؤجرة الى
وقف اثناء مدة الایجار . وانا نميل الى التصديق بان
اعتبار الاحباس نوعاً خاصاً من الأراضي يرجع الى زمن
الفاطميين يوم كانت المدرسة المالكية المدرسة الوحيدة
المعترف بها من محاكم العدل ١ .
ولم تكن الخدمة العسكرية شرطاً لنيل الاقطاعات

آنذاك لكون الاقطاعات خاضعة لنظام الایجارة^١ .
وبالرغم من وجود مصادر عديدة تنسب تأسيس
ديوان الاحباس الى شخصية قديمة كالليث بن سعد قاضي
مصر في القرن الثاني الهجري^٢ ، والى شخصية اخرى
كصلاح الدين^٣ ، فالحقيقة ان الأدلة التي تعزو تأسيس
هذا الديوان الى الفاطميين^٤ لكثيرة ايضاً . اذ ان الكثير
من هذه المراجع والمصادر يؤكد وجود اقطاعات احباسية
خاصة في عهد الفاطميين^٥ . وكانت هذه الاراضي في عهد
المماليك ارضاً ملكية ممنوحة لمؤسسات دينية ولذوي
الاستحقاق . وهي وان بقيت دون منزلة الأوقاف رتبة فان

١ خطط ، م ١ ، ص ٨٥ ، س ٣٥ - ٣٦ ، ٣٩ .

٢ ابن اباس ، م ٥ ، ص ٤٦١ ، س ١ - ٣ .

٣ جبرتي ، م ٤ ، ص ٩٣ ، س ٢٦ .

٤ خطط ، م ٢ ، ص ٢٩٥ ، س ٥ .

٥ خطط ، م ١ ، ص ١١٠ ، س ٤ - ١٧ . « اليهود في

مصر وفلسطين في عهد الخلفاء الفاطميين لـ « ج. مَن » ، اوكسفورد

١٩٢٢ ، م ٢ ، ص ٣٥٤ ، (الاحباس اليهودية في فلسطين) . ابن

خلكان ، وفيات الاعيان ، م ٢ ، ص ١٦٦ .

مميزاتها المقدسة جعلتها فوق الرزق الجيشية . وكانت هذه
الأراضي تحت اشراف ديوان ملكي خاص يعرف بديوان
الأحباس يديره ناظر - وهو موظف ديني - ناظر
مسؤول في كثير من الأحيان تجاه الدوا دار الأكبر (الأمير
المشرف على الاختام الملكية، وكثيراً ما قام هو نفسه بهذا
العمل منذ ٧٦٨ هـ .)

وكان الناظر مسؤولاً أحياناً تجاه نائب السلطان
مباشرة أو السلطان نفسه ^١ .

وبسبب الازدياد المتواصل بلغ عدد هذه الأراضي
في عام ٧٤٠ هـ حوالي مئة وثلاثين ألف فدان ^٢
(١٣٠،٠٠٠) . وفي عهد الفتح العثماني وجد في مصر العليا

- ١ صبح ، م ٤ ، ص ٣٨ ، س ٧ - ١٦ . ضوء الصبح ، م ١ ،
ص ٢٥٠ ، س ٢١ - ٢٤ . ظاهري ، ص ١٠٩ ، س ١٣ - ١٥ .
خطط ، م ٢ ، ص ٢٩٥ . سلوك ، م ١ ، ج ١ ، ص ١١٩ ، رقم ٢ .
ابن اياس ، م ١ ، ص ٢٢٠ ، س ١ - ٢ .
٢ خطط ، م ٢ ، ص ٢٩٥ ، س ٣١ .

وحدها الف وثمانمئة^١ (١٨٠٠) رزق كـهـذـه .

اما الاحباس الكائنة في حوزة الكنائس والأديرة
المسيحية في مصر فانها صودرت عام ٧٥٩ هـ . ووزعت على
الامراء علاوة على اقطاعاتهم^٢ . وكانت الرخصة الملكية
المعطاة لواضع اليد على اقطاع كـهـذا معروفة " بتوقيع
احباسي " وصادرة عن ديوان الاحباس^٣ . اما في سوريا
وفلسطين ولبنان فكان امتداد الاحباس على نطاق اضيق
مما كان عليه في مصر^٤ .

وبين الاقطاعات الموهوبة ايضاً يمكننا ان نضع
اقطاعات الخليفة . ومع ان " ايبك " مؤسس دولة المماليك
الذي حاول افساد ادعاء الايوبيين - الاسرة المالكة في

١ ابن اياس ، م ٥ ، ص ٤٦١ ، س ٦ ، ٢٢ - ٢٣ .

٢ ابن اياس ، م ١ ، ص ٢٠٦ ، س ٦ - ١١ (وكان مجموع
مساحتها اذ ذاك عشرين الف فدان) .

٣ ظاهري ، ص ١٠٩ ، س ١٥ .

٤ نويري ، م ٨ ، ص ٢٠٩ ، س ١ - ٢ . سلوك ، م ١ ، ج ٢ ،
ص ٥٩ ، رقم ٧١ .

سوريا - صرح " بأن البلاد هي ملك للخليفة وان الملك هو ممثل له فقط " ١ ، نرى انه يوم نقل مركز الخلافة الى مصر عام ٦٥٩ هـ. او ١٢٦١ م لم يتسلم الخليفة هنالك اي اقطاع ارضي . وكان « برقوق » هو الذي اتخذ الاجراء القائل بمنح الخليفة العاجز ارضاً يتسلمها من الحاكم الأصلي كأقطاع خاص له . وقد ظل هذا الاجراء نافذ المفعول في العراق منذ عام ٣٣٤ هـ . ٣ ، وفي مصر طيلة عهد الفاطميين ٤ . واصبح الخليفة ، بصفته واضع اليد على اقطاع ٥ ، يعد عضواً في الفئة العسكرية وله رتبة

- ١ او بشخص آخر يعينه الخليفة للقيام بهذا العمل : ابو الفداء ، م ٣ ، ص ١٩٢ ، س ١٢ . منهل ، م ١ ، فقرة ٣ ، س ١٧ .
- ٢ خطط ، م ٢ ، ص ٢٤٣ ، س ١ - ٢ . ابن الجيعان ، إلا انه لم يذكر اي قطاع كائن في عمدة الخليفة عام ١٣٧٥ .
- ٣ ابو الفداء ، م ٢ ، ص ١٠٠ ، س ٧ . ابو شامة في كتاب الروضتين ، القاهرة ١٢٨٧ - ١٢٩٢ هـ . م ١ ، ص ٣١ ، س ٣٠ .
- ٤ ابو شامة ، م ١ ، ص ١٩٦ ، س ١٩ .
- ٥ « اقطاع الخلافة » : ابن اياس ، م ٥ ، ص ٣٤٧ ، س ٢٣ .

عسكرية ايضاً^١ . وفي زمن السلطان يوسف عام ٨٤١ هـ .
ازداد اقطاع الخليفة توسعاً . وفي عهدي " اينال " عام
٨٥٧ هـ . وابنه احمد ، منح الخليفة مكافأة اخرى علاوة على ذلك .
ولما جاء « قايتباي » عام ٨٧٢ هـ .^٢ ألغى هذه الزيادة واقتطع
من ممتلكات الخليفة . ولما نفي الخليفة الأول " المتوكل " الى
اسطنبول بعد فتح العثمانيين لمصر ، ظلت اقطاعاته فيها
ملكاً له حتى عهد السلطان سليم الأول الذي امر بتقسيم
هذه الاقطاعات بين الخليفة واثنين من العباسيين المنفيين^٣ .
ولسنا ندري ما إذا كانت هنالك علاقة بين هذه

١ ابن اياس ، ص ١٥٥ ، س ٤ .

٢ نجوم ، م ٧ ، ص ٦ ، س ١ ، ص ٤٦١ ، س ٢ . حوادث ،
ص ٢٣٦ ، س ٦ ، ص ٣٨٢ ، س ١ ، ص ٦٣٣ ، س ٣ - ٨ . ابن
اياس ، م ٢ ، ص ٥١ ، س ٨ ، ص ٩٦ ، س ١٥ - ١٨ ، م ٤ ، ص
٢٩٢ ، س ١ - ٦ . سخاوي ، م ٣ ، ص ١٦٦ ، س ٢١ . وفي زمن
ابن الجيعان كانت مؤلفة من قريتين كاملتين واجزاء اخرى لقريتين
غيرهما (ص ٢٥ ، س ١٥ ، ص ٨٠ ، س ١٨ ، ص ١٤٤ ، س ١٠ ،
ص ١٥٨ ، س ٧) .

٣ ابن اياس ، م ٥ ، ص ٣١٢ - ٣١٣ ، ٣٤٧ - ٣٤٨ .

الاقطاعات وبين الممتلكات التي ورثها سلالة العباسيين
المصريين في القرن الثامن عشر^١ .

ولما كان يحق للدولة استرجاع الرزق الجيشية^٢ نرى
ان انجح وسيلة تدرع بها الاقطاعيون الراغبون في الاحتفاظ
باقطاعاتهم العسكرية ، وبابقائها ملكاً لهم مدى الحياة ، هي
بان يحولوا هذه الاقطاعات الى املاك خاصة غير خاضعة
لنظام الاقطاع . ففي اوائل عهد المماليك كانت هذه
الأراضي الخاصة كثيرة في سوريا^٣ ويكاد لا يكون لها
وجود في مصر^٤ . وبالتالي اخذ هذا النوع من الأراضي

١ جبرتي ، م ٣ ، ص ٣٥٥ ، س ٣٢ .

٢ ابن اياس ، م ٤ ، ص ١٣٦ ، ١٥٠ ، ٣٢١ - ٣٢٢ ، م ٥ ،
ص ٩٠ . ولقد كانت الرزق الاحباسية في ايدي رجال الدين والمؤسسات
(حوادث ، ص ١٤٠ ، س ٨ . ضوء ، م ١ ، ص ٢٥٠ ، س ٢٢ - ٢٣) .

٣ ابن الشحنة ، ص ١٢٨ ، س ٨ - ١٠ ، ص ١٦٨ ، س ٨ ،
ص ١٧٤ ، س ٧ - ٨ (مقتطفات عن ابن شداد وهو معاصر لبيبرس
الاول . ص ١٧٠ ، س ٢ ، ١٣) .

٤ صبح ، م ٣ ، ص ٤٥٥ ، س ١٠ - ١٢ . والأراضي العشرية
القديمة حولها الفاطميون الى اراض تدفع الحراج . خطط ، م ١ ، ص

الخاصة بزيادة تحويل اقطاعات عسكرية سابقة^١ . غير
ان هذه الزيادة كانت انتهاكاً مباشراً للشرع الاسلامي الذي
حرم تحويل الاراضي التي تدفع الخراج الى اراض مملوكة^٢
غير خاضعة لنظام الاقطاع وتدفع العشر فقط . ولقد الغى
رجال الشرع في عهد المماليك هذا القانون فاعتبروا : " ان
الحق الذي اعطاه الشرع الاسلامي للخليفة بمنح المسلمين
الاراضي المغتصبة والاراضي غير المملوكة منحاً كتملكات
خاصة تدفع العشر ، اصبح يتطبق على كل الاراضي العائدة
الى الدولة لاي سبب كان " ، كما وانهم اخذوا خصوصاً
بالنظرية القائلة " بان كل ممتلك مات مالكة دون ان يترك
وريثاً بعده يصبح ميراثه ملكاً لجماعة المسلمين^٣ " . اما

٨٤ ، س ٢ - ٨ .

١ نجوم ، م ٦ ، ص ٣٨٧ ، س ١٧ .

٢ في عهد المماليك لم تكن هنالك ضريبة تفرضها الحكومة
على الاراضي العشرية او اية اراض اخرى خارجة عن ملكية
السلطان ، لكنه كان يفرض عليها في بعض الاحيان ضرائب
استثنائية فوق العادة . - ٣ صبح ، م ١٣ ، ص ١١٥ ، س ٣ ، ٨ .

الخليفة فكان مثلاً بإدارة بيت المال المنتدبة من لدن
السلطان ، وكان يحق له ، اي للخليفة ، ان يبيع هذه
الأراضي ويتصرف بها كيفما شاء . زد عليه انه اذا تنازل
واضع اليد بإرادته التامة عن حقه في اقطاع ما وكان هذا
التنازل لصندوق الامة ، اصبحت له الحق بان يشتري هذا
الاقطاع ثانية كملك خاص او ان يتدبر امر ابتياعه من
صديق له ^١ . ولذا نرى ان الأراضي التي اصبحت ملكاً
خاصاً ، غير خاضع لنظام الاقطاع ، لا يتباعها بواسطة
صندوق الامة ، غدت عديدة جداً ^٢ . وطالما اشترى

١ ابن بجي ، ص ١٠٢ ، س ١٣ - ص ١٠٣ ، س ١ . انه من
الممكن ان يكون تحويل الاراضي التي تدفع الحراج الى اراض
عشرية بواسطة بيعها للخزينة العامة ، وهو اجراء اقتبسه الممالك من
توكستان (وقد كانت آنذاك تحت سيطرة التتر) حيث ظل
هذا الاجراء نافذاً حتى القرن التاسع . M. N. Rostislavov, Ocerk
vidov Zemelnoi sobstvennosti i Pozemelnyi Vopros v
Turkestanskome kraie, St. Petersburg, 1879, pp. 7—8

٢ ابن الجيعان ، ص ٥ ، س ٢٢ ، ص ٩ ، س ٩ ، ص ١١ ،
س ٢٣ ، ص ١٤ ، س ٣١ ، ص ١٠٦ ، س ٢٤ ، ص ١٠٩ ، س ٢٢ ،
ص ١١٤ ، س ٢٤ ، ص ١٣٠ ، س ٢١ ، ص ١٣٩ ، س ١٠ ، ص

السلطان هذه الأراضي اما ليحتفظ بها ١ او ليمنحها هبات
لامراء ذوي نفوذ ٢، كما وان جزءاً كبيراً من الاقطاعات
والممتلكات الملكية تحول الى اوقاف ٣ . ففي القرن
الخامس عشر كان الامراء يؤسسون اوقافاً ويتبرعون

١٩٤ ، س ٥ . ابن حبيب، درة الاسلاك ، Orientalia, ii, 1846

ص ٣٨١ ، س ٢٣ - ٢٤ .

١ سلوك ، م ١ - ٢ ، ص ٧٦ .

٢ فقد اشترى السلطان قلاوون قدامر لاميير امراء آل فضل .

(منهل ، م ٤ ، فقرة ٢٠٢ ، س ٢٢ - ٢٣) .

٣ هذه اللفظة (اوقاف) وفعل وقف وردتا في مصادر الماليك

فيما يتعلق باقطاعات ممنوحة كهبة (حوادث ، ص ١٨ ، س ٨ . ابن

الجميعان ، ص ٢٥ ، س ١٥ ، ص ٨٠ ، س ١٨ ، ص ١٤٤ ، س ١٠ ،

ص ١٥٨ ، س ٧ . ابن اياس ، م ٤ ، ص ١٥ ، س ١٠ - ١٢ ، ١٦ ،

ص ١٥٠ ، س ١٦ ، م ٥ ، ص ٣٩٥ ، س ١٣ - ١٤ . صبح ، م ٤ ،

ص ٥٥ ، س ١٣) والفرق الرئيسي بينها وبين الاوقاف الصحيحة

هو ان الاوقاف الصحيحة قد بناها واضع اليد نفسه (الذي كان

باستطاعته في البدء ان يحولها الى اراض عشيرة) . اما هي

فكناية عن هبة ممنوحة من السلطان . عن ازدياد الاوقاف الصحيحة

راجع: ابن الجميعان، ص ١٤٧ ، س ١٧ ، ٢٠ ، ص ١٤٩ ، س ٣ ، ٢٦ ،

ص ١٥٠ ، س ٣ ، ١٥ ، الخ . خطط ، م ١ ، ص ١١٠ ، س ٢٨ - ٣٠ .

بأنشاء دور علم وبر على اسم مماليكهم^١ ايزيدوا من عطف هؤلاء عليهم وعلى سلالاتهم من بعدهم . وفي بعض الأحيان كانت سلالات هؤلاء الامراء تستفيد من اوقافهم^٢ معنويًا وماديًا . بيد ان دخل هذه الأوقاف كان يرصد على الأغلب لمشاريع اجتماعية او دينية كالدفاع عن الشواطىء ضد قرصان اوروبا^٣ مثلاً ، او لدفع فدية عن المسلمين الذين وقعوا اسرى في ايدي هؤلاء القرصان^٤ ، او لبناء خزانات ماء^٥ ومستشفيات^٦ او لمساعدة

١ ابن الجيعان ، ص ١١٥ ، ص ٢٧ ، ص ١٢٨ ، ص ٦ ، ص ١٣٥ ، ص ١٩ ، ص ١٦٢ ، ص ١ ، ص ١٧٩ ، ص ١٨ .

٢ C.I.A ، م ١ ، ص ٣٥٣ ، ٣٦٠ ، رقم ٢٤٧ . ابن اياس ، م ١ ، ص ٢٢٥ ، ص ١٨ - ١٩ .

٣ منهل ، م ٢ ، فقرة ٣٤ ، ص ٨ - ٩ . ابن دقماق ، م ٥ ، ص ١١٤ ، ص ٥ . ابن اياس ، م ٢ ، ص ١٨٩ ، ص ١٥ . ابن يحيى ، ص ٤٢ ، ص ١٥ - ١٠ .

٤ صبح ، م ١٢ ، ص ٤٧ ، ص ٤ - ٦ ، ص ٥٢ ، ص ١٥ ، ص ٣٩١ ، ص ١٤ - ١٥ .

٥ و٦ ماير ، ص ١٨٨ . ابن حجر ، م ١ ، ص ٢٨٥ ، ص ١٤ . بشكوف «تاريخ حلب» ، بيروت ، عام ١٨٨٠ ، ص ١٣٢ . ابن اياس ،

المؤسسات في الحجاز^١ لاسيما الجوامع والمدارس الاسلامية
واديرة الدراويش^٢ . ومن شاء من المؤسسين ان يضمن
مستقبل ورثته عينهم وكلاء وراثيين على الأوقاف . ولطالما
تصرف هؤلاء الوكلاء بدخل الأوقاف حسب اهوائهم
وخالفوا الشروط التي وضعها المؤسس^٣ بحيث ان النظام
المتبع عرفاً فيما يتعلق بحق التصرف كان شديداً بنظام
الاقطاعية في وضع اليد^٤ . وخالفوا هذا النظام ايضاً اذ
سمحوا لأنفسهم بحق التنازل (النزول) وحولوا وكالاتهم

م ١ ، ص ١١٦ ، س ١١ . ابن الشحنة ، ص ١٦٧ ، س ٥ . منهل ،
م ٢ ، فقرة ١٦١ ، س ٩ ، م ٣ ، فقرة ١٠٧ .

١ سلوك ، ص ٦٩ - ٧٠ ، C I A ، م ١ ، ص ٣٤٦ . رقم ١ .
ابن دقيق ، م ٥ ، ص ٣٣ ، ٤٨ ، ١٣١ . ابن اياس ، م ٢ ،
ص ١٩٤ ، س ١٦ - ٢٦ .

٢ راجع فهرس مؤسسات مصرية كهذه في ابن الجيعان .

٣ حوادث ، ص ١٧ ، س ١ - ٣ . منهل ، م ٤ ، فقرة ١٥٨ ،
س ١ - ٢ . عن العهد العثماني (Volney) فولني ، م ٢ ، ص ٣٧٠ .
جبرتي ، م ٢ ، ص ١٢٧ ، س ١٣ - ١٥ ، م ٤ ، ص ١٨٩ ، س ٩ ،
الى ص ١٩٠ ، س ١ . ابن الشحنة ص ١١٧ ، س ٢ - ١٢ .

٤ ابن الشحنة ، ص ١١٦ ، س ١٨ ، « وهي الآن باسم » ابن

لأبنائهم أو لأصدقائهم ويمكننا القول بأنهم كانوا اقطاعيين دينيين ومركزهم الاجتماعي اقل شأنًا من المركز العسكري ، لكنه كان ذا صفة ارثية اشد منه (يستثنى الوكلاء الواضعو ايديهم على اقطاعات عسكرية في الوقت نفسه) كما وان ادارة شؤون بعض الأوقاف كانت مرتبطة بمراكز عسكرية معينة لاسيما رؤساء القضاة العسكريون او الدوادار الأعظم زمام الأدور ورأس نوبات النوب (قائد الممالك الملكيين المنوطة بهم حراسة القصر) وحاكم بعلبك ٢ . وبالواقع فان كل العائلات والاسر الارستقراطية الحالية التي كانت ذات نفوذ ماموس في عهد

الجيغان (مراراً عديدة) .

١ ابن الشحنة ، ص ١١٦ ، س ٥ - ٦ ، ١٧ ، ص ١١٧ ، س

١٦ - ٢٠ .

٢ حوادث ، ص ١٧ ، س ١ - ٣ ، ص ٥٤ ، س ٢ - ١٠ ،

ص ٨٠ ، س ١٧ . ابن ايبس ، م ١ ، ص ٢٠٣ ، س ١٩ . م ٤ ،

ص ٣٥ ، س ١٣ - ١٤ ، ص ٣١٧ ، س ١٨ - ١٩ . صبح ، م

١٢ ، ص ١١٧ ، س ٩ - ١٠ ، ص ٣١٩ ، س ٣ - ٤ .

المالك (ما عدا رؤساء القبائل) فانها مديونة بوضعها الحالي الممتاز وبيقاتها على هذا الوضع حتى الآن ليكون افرادها وكلاء ارثيين او امناء على اوقاف هامة . وبين هذه العائلات فريق متحدر من اصل تركي كآل البرقوقي في مصر ^١ وآل النشاشيبي في القدس ^٢ .

وتلك البيوتات التي تزعم بان نسبها ينتهي الى محمد وصحبه كآل الحسيني في القدس ^٣ والتميمي في

١ قوضت سلالة السلطان برقوق بإدارة أوقافه . جبرتي ، م ، ٤ ، ص ١٠٥ ، س ٢٢ - ٢٣ .

٢ سلالة الامير ناصر الدين محمد بن احمد بن رجب المولود في القاهرة عام ٨٢١ هـ . (ارجح انها تنتمي لاولاد الناس الذين كانوا بين عام ٨٧٥ - ٨٩٣ هـ . نظار الحرمين) مراقبو الجوامع في القدس وجبرون ومديرو اوقافها) . سخاوي ، م ، ٦ ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ ، رقم ١٠٢٥ . مجير ، ص ٦٢١ - ٦٧٢ . ولقد وصف ماير لباسهم الحربي . وظيفة ناظر الحرمين محصورة بالامراء : تعريف ، ص ١٠٨ - ١٠٩ . صبح ، م ، ١٢ ، ص ١٠٥ ، س ٢ - ٣ . مجير ، ص ٦٠٤ - ٦١٩ .

٣ في أواخر القرن الثالث عشر التزم « آل حسيني وآل وفاعي » المتحدرون من سلالة حفيد النبي الحسين بن علي ضيعة شرفات من واطع اليد عليها وبقيت محل اقامتهم وملكاً لهم طيلة

حبرون^١ . ولقد كان هؤلاء دون المالكين الملكيين طبقة .
وفي اواخر عصر الممالك كان مجموع الاقطاعات
العسكرية اصغر كثيراً مما كان عليه^٢ في بدء هذا العصر .
وكان الاقطاع المشرف عليه السيد العسكري جزءاً صغيراً
من ممتلكاته . اما الجزء الأكبر الباقي^٣ فمؤلف من الرزق

عهد الممالك . ولقد كانوا واثق لقب « نقيب الاشراف في القدس » .
وهذا اللقب يعني ضمناً سلالة محمد لدى السلطات وادارة الاوقاف
والمنح المقدمة لها (لهذا كان يطلق عليهم اسم بني النقيب ايضاً) .
ولقد أصبحوا بارزين تماماً في عهد العثمانيين يوم فقدت رتبة
الاشراف الاجنبية مركزها وميزاتها . بحير ، ص ٤٩٠ . سخاوي ،
م ١ ، ص ٢٥٩ ، م ٤ ، ص ٣٠٩ . جبرني ، م ١ ، ص ٦٦ ، ٤١٢ ،
٣٧١ - ٣٧٤ ، م ٢ ، ص ٧٠ - ٧١ . فين Finn ، م ١ ، ص ١٨٠ .
١ سلالة تميم الداري من صحابة محمد . وكانوا موظفي جامع
حبرون ، وتقدم لهم مداخيل اوقاف ومنح معينة حسب التقاليد
التي اتبعها محمد مع اسلافهم . وكثيرون منهم أصبحوا فقهاء مشهورين
ورجال ادب . صبح ، م ١٣ ، ص ١٢٢ ، س ٨ - ١٠ . بحير ، ص
٤٤٩ ، ٦٣٢ . سخاوي ، م ١ ، ص ٢٠٤ ، م ٢ ، ص ١٣ ، م ٤ ،
ص ٩٥ ، م ٥ ، ص ١٩٢ . العمري ، مسالك الابصار ، م ١ ، القاهرة
١٩٢٤ ، ص ١٧٢ .

٢ نجوم ، م ٦ ، ص ٣٨٧ ، س ١٧ . راجع الارقام في ابن

الأراضي العشرية والأوقاف التي أسسها هو، وكانت لم تزل
نحسب من ممتلكاته^١ والأوقاف التي يديرها ايضاً. ومهما
يكن من امر فان الفتح العثماني قضى بصورة نهائية على
الاقطاعات العسكرية في مصر .

وظل للمماليك وامراؤهم (ما عدا اولاد الناس) شهوراً
عديدة هارين من وجه السلطات ومتنكرين بازياء
الفلاحين^٢ . ولقد صودرت الاقطاعات العسكرية والحقت

الجميعان . - ٣ ابن اياس ، م ١ ، ص ١٥٦ ، س ١٨ - ٢٣ ، ص
١٧٢ ، س ٧ - ١٤ ، ص ١٩٨ ، س ٥ - ١٢ ، م ٤ ، ص ٢٤٢ ، س
٣ - ٤ ، ١٤ - ١٧ . حوادث ، ص ٥٦٢ ، س ١٨ ، ص ٥٦٨ - ٥٦٩ .
منهل ، م ٢ ، فقرة ٨٦ ، ١٦٠ - ١٦١ . وقد ورد ذلك مرات عديدة
عند ابن الجيعان .

١ وكان بإمكانه ان يبيعها كأراض ذات ربحية عشرية . حوادث ،
ص ١٦٧ ، س ٩ ، ص ١٦٨ ، س ٣ ، ص ٢٠٢ ، س ١٣ . ابن اياس ،
م ٢ ، ص ٤٥ ، س ٢٦ ، م ٤ ، ص ١٠٩ ، س ٢٠ ، ص ١١٠ ، س
٣ ، ص ٢٤٢ ، س ٣ - ٤ . عن العهد العثماني ، راجع جبرتي ، م ١ ،
ص ٢٨ ، س ٣٠ ، ص ١٠١ ، س ٦ - ٧ . الحجة الشرعية هي ان
المؤسس كان في حالة دين وقت التأسيس ، وكان يمتلكه اذن كفالة
لدفع هذا الدين . ولهذا فالوقف هو غير شرعي منذ البداية .

٢ ابن اياس ، م ٥ ، ص ١٤٧ - ١٤٨ .

بالممتلكات الملكية^١ . اما الرزق الجيشية (عدا تلك التي منحت بمنشور) والرزق الاحباسية والاقواف فلقد ظلت كما هي^٢ . وفي السنة نفسها (١٥١٧ / ٩٣٣) صدر عفو عن المالك واصبحوا تدريجياً جزءاً من المعسكر العثماني في مصر (في اول الامر شملهم العفو ليعيشوا مجردين من السلاح كأفراد ملكيين ، ومن ثم اصبح لهم الحق بركوب الخيل وحمل السلاح ، واخيراً بأخذ نفقة) ... ولقد اثار هذا الحدث غضب العسكريين العثمانيين الصرف الذين ارادوا ان يأخذوا لانفسهم امتيازات المالك الملكية

١ ابن اياس ، م ٥ ، ص ١٥٨ ، س ١٤ - ٢٢ ، ص ١٦٧ ، س ٩ ، ص ١٧٦ ، س ٩ - ١١ ، ص ١٨٥ ، س ١٢ - ١٦ ، ص ١٨٦ ، س ٦ - ٩ ، ١٣ - ١٥ . هم Hammer ، م ١ ، ص ٧٨٩ - ٧٩٠ .

٢ ابن اياس ، م ٥ ، ص ١٨٩ ، س ١٦ - ٢٠ ، ص ٤٦٠ ، س ٢٢ ، ص ٤٦١ ، س ٣ . واخيراً حاولت الادارة الاميرية المصرية ، راراً عديدة لتقبض على جزء من هذه الاقطاعات او على مداخيلها . ص ٢١٨ - ٢١٩ ، ٢٤٩ - ٢٥٠ ، ٢٦٤ ، ٢٨٧ ، ٣٣٢ ، ٤٦٠ - ٤٦١ ، ٤٦٦ ، ٤٧٥ ، ٤٨٠ .

كرواتبهم الشهرية ومخصصاتهم من اللحم والعلف واقطاعاتهم العسكرية^١ . اما السلطات فانها استغلت هذا التنافر القائم بين الفريقين من المعسكر وألغت الاقطاعات العسكرية جميعها . وأعطى المالك علاوة على رواتبهم تعويض عن اقطاعاتهم التي خسروها ومخصصات اللحم والعلف^٢ ، كما وان العثمانيين الاتراك الذين كانوا يقبضون في البدء تعويضاً يومياً ضئيلاً ، أصبحوا الآن يقبضون رواتب شهرية تفوق رواتب المالك^٣ مع الزيادة التي ألحقت بها . واما الحلقة فانها لم تشكل ثانية وانما سمح لبعض اولاد الناس بالانضمام الى الفرق العثمانية المعروفة بـ « الكميولية »^٤ .

١ ابن اياس ، م ٥ ، ص ٢٠٩ ، س ٤ - ١٤ .

٢ ابن اياس ، م ٥ ، ص ٢٤٢ ، س ١٦ - ١٩ ، ص ٤٠٤ ، س ٢٢ ، ص ٤٠٥ ، س ٢ .

٣ ابن اياس ، م ٥ ، ص ٤٠٤ ، س ١٣ - ٢٢ .

٤ ابن اياس ، ص ٣٦٩ ، س ١٨ - ٢٢ . وهي على الأرجح « آلاي الجمل » الاسم التركي الذي كان يلفظه المصريون جملبان (مارسيل Marcel ، ص ١٩٣) .

وأما ديوان الجيش فلقد بقي مدة من الزمن يبيع الأراضي للأشخاص الذين يرغبون في الشراء، ولم تعد الأراضي تباع كأقطاعات وإنما كرزق جيشية . وهنا بذل المشترون كل الوسائل بما فيها تزوير السندات ليحولوا هذا المشتري إلى أراض خاصة غير خاضعة لنظام الاقطاع . ولكن هذه الطبقة من الأراضي اضمحلت تدريجياً^١ فيما بعد . وخلال السنين الأولى من الفتح استعاد زعماء البدوان أقطاعاتهم وعين منهم من كان صاحب نفوذ . وكان هذا التعيين من لدن الحاكم المركزي المشرف مباشرة على هذه الاقطاعات ، ولم يبق لقائد مصر الأعلى تدخل مباشر بشؤونهم^٢ . ولكن منذ اشتراكهم في الثورة غير الموفقة

١ ابن إياس ، م ٥ ، ص ٤٢٠ ، س ٥ ، ص ٤٢١ ، س ١٤ ، ص ٤٦٩ ، س ١ - ٥ ، ص ٤٧٥ ، س ١٨ - ١٩ (أعادت السلطات الأراضي المصادرة من المزورين) . وبما أن الاقطاعات الطبيعية قد زالت فلطالما استعمل ابن إياس لفظة اقطاعات عائياً بها الرزق الجيشية (ص ٢٥٨ ، س ٦ - ٧ ، ص ٢٨٧ ، س ٨) . ولها المعنى نفسه على الأغلب في اسحاق ، ص ١٣٦ ، س ٥ .

٢ ابن إياس ، م ٥ ، ص ١٦٤ ، س ٣ - ٤ ، ص ٢٦٩ ،

التي قام بها القائد العام احمد باشا عام ١٥٢٤ م انتزعت منهم صفة وضع اليد واصبحوا مجرد مزارعين في الممتلكات الملكية^١ . اما فرق المماليك السورية والفلسطينية فلقد انسحبت عام ١٥١٦ الى مصر هرباً من العثمانيين ، واصبح نصيبها نصيب المماليك المصريين وبينهم الزعيم شرف الدين يحيى رئيس عشيرة بحتري^٢ ، وهناك زعماء من القبائل اعلنوا خضوعهم للفاتحين فكافأهم هؤلاء بأن تركوا لهم ممتلكاتهم السابقة ومنحهم اقطاعات اخرى علاوة عليها . ومن اولئك الزعماء كان زعيم المعينين فخر الدين الاول ، وجنبلاط (او جنبلاذ) جد اسرة جنبلاط المتحدرة من اصل كردي ، واصبح كل منهما برتبة سنجق يه اي حاكم

س ٢٣ - ٢٤ ، ص ٢٨٤ ، س ١٥ - ١٨ ، ص ٣٨٧ ، س ١٣ - ١٧ ، ص ٤٢٩ ، س ١ - ٥ ، ص ٤٣١ ، س ١٠ - ٢٠ . كان رؤساء بني عمر والاحدب وبكار وبغداد ومرعى معتبرين من هذا النوع .
١ في النصف الثاني من القرن السادس عشر كان حكام المنوفية يُنتخبون من بني بغداد : اسحاقى ، ص ١٣٧ ، س ٢٧ - ٣٦ .
٢ شدياق ، ص ٢٤٦ ، س ١ - ٢ ، ١٠ .

منطقته (صيدا وبيروت في لبنان ، وكلس في شمالي سوريا)
ومدير الاقطاعات الواقعة ضمن دائرة نفوذه ^١ .

وفي عام ١٥١٧ سامت القيادة العليا العامة في جنوبي
سوريا وفلسطين ولبنان الى امير مملوك يدعى جان بردي
الغزالي ، وكانت جيوشه مؤلفة من ممالك جاءوا من مصر
لخدمته ^٢ ومن بعض المواطنين الشواذ ومن معسكر صغير
من العثمانيين ^٣ . ونرجح ان هؤلاء كانوا يقبضون رواتبهم
نقدًا شأن القوات المصرية (يستثنى رؤساء القبائل-). وبعد
اخفاق ثورة الغزالي عام ١٢٥٠ - ١٢٥١ حلت جيوش

١ Hammer م ١ ، ص ٧٦٤ ، م ٢ ، ص ٧٠٥ .
وحسب رواية الشدياق (ص ٢٥١ ، س ١١-٢٢) ، فان لفظة
« مونوغلي » (Moinoghli) تعني فخر الدين الاول ، وإلا
كنا فكرنا بشخص آخر يدعى ابن المعين .

٢ ابن اياس ، م ٥ ، ص ٣٧٧ ، س ١٨ - ١٩ . الاسرة الفلسطينية
(ابو غوش) تدعي بانها متحدرة من هؤلاء الممالك . Finn ، م ١ ،
ص ٢٢٩ - ٢٣٥ .

٣ ابن اياس ، م ٥ ، ص ٣٧٧ ، س ١٧ - ٢١ ، ص ٤١٨ ،
س ٧ ، ص ٤١٩ ، س ٨ - ٩ . Hammer ، م ٢ ، ص ١٩ .

الماليك المحلية واصبح النظام السائد هو النظام العسكري
العثماني للمقاطعات .

ويزعم « عيني علي » ان عدد الجيش الاقطاعي
العثماني في سوريا وفلسطين بلغ ٨٢٥٨ خيالا منهم ٣١٩٤
في ولاية دمشق ، و١٨٢١ في ولاية طرابلس ، و٣٢٤٣
في ولاية حلب . وكان بينهم ٢٥٦١ صاحب اقطاع
منهم ١٠٠٦ في ولاية دمشق ، و٦٤٢ في ولاية طرابلس ،
و٩١٣ في ولاية حلب ، وكان هنالك ٥٦٩٧ فارسا (جيلو)
في خدمتهم ، وكان هؤلاء ملكا لاسيادهم على غرار المالك
الخصوصيين الذين تقدم ذكرهم ، ولم تتح لهم الفرص
المناسبة ليصبحوا اقطاعيين لان في ذلك مخالفة للقانون
الارثي العثماني للاقطاعات . اما الاقطاعات فلقد كانت
موزعة على الوجه التالي : تسع عشرة اقطاعا تابعة لمركز
الحاكم العام وحكام المناطق ، وتسع اقطاعات اخرى
لاصحاب رتب عليا في الولايات ، ومئتان وخمسة وتسعون
تحت سلطة الزعماء الاقطاعيين ، و٢٢٣٨ باشراف زعماء دون

هؤلاء (ارباني تيمار) .

وكانت قيمة الاقطاع تعدل بالنسبة لحاصلها السنوي بالعملة العثمانية الفضية (اسبر) . وكان دخل الاقطاع الصغير او « تيمار » يقدر بألفي اسبر او اكثر، ودخل اقطاع اكبر او « زعامة » بعشرين الف اسبر او اكثر، ودخل « الخاص » (اي الاقطاع الخاص بالحاكم العام او بأمين صندوق الولاية في الولايات السورية الفلسطينية) يراوح بين ١١٣،٠٠٠ و ١٦،٠٠٠،٩٩٥ اسبر^١ .

وهناك عدة مراكز لم تقسم الى اقطاعات، غير انها كانت معتبرة كعقارات ملكية ومنها :

- ١ - تدمر ، ٢ - صيدا وبيروت ، ٣ - الكرك والشوبك في اقليم دمشق ، ٤ - تركمانات حلب واعزاز ، ٥ - منبج والمضيق في اقليم حلب . ونستطلع من

١ عن قيمة الاسبر (Asper - اقتشأ العثماني) حسب زعم Belin في Journal Asiatique ٦٥ sér. م ٣ ، ص ٤٢٢ - ٤٢٥ . وهذه العملة أصبحت تدريجياً عملة وعمية كاذبة استعملتها الخزينة في ولايات مختلفة وبقیم مختلفة .

مصادر اخرى ان هنالك عقارات ملكية في مراكز
اخرى ايضاً كمقاطعة طبريا ^١ وبعض الغابات في ولاية
دمشق ^٢ . وحسب الجغرافية السياسية الحديثة كان هنالك
ما يقارب ^٣ ٥١٧ اقطاعة في فلسطين (مراكز القدس
ونابلس وغزة وصفد واللجون) و٦٦ اقطاعة في شرقي
الاردن في مركز عجلون ، و١٠٠ اقطاعة في لبنان في مركز
طرابلس ، و٢٠٢ في كيليكية في مركز اطنه ، بينما كان

١ بين عام ١٥٦٠ - ١٦٠٣ كان يقوم بزرع هذه المقاطعة
صيارفة يهود من القسطنطينية ، اولهم جوزف هنسي
(Alias Joao Miquez) وحماته . ثم سلمون ابن يعيش
(Alias Alvaro Mendez) وابنه . راجع جوزف ها-كوهين
« Emeq ha - Beka » , ed. Letteris , p.p. 145 — 147 .

Fr. Pantaleao de Aveiro, Itinerario da Terra
Sancta, Lisbon, 1583, 1927 ;

Transactions of the Jewish Historical Society of
England, xi, 1928, p. p. 26, 81.

٢ م ٤ ، ص ٢٢٧ ، من J. A. 9th Ser. ، عام ١٨٩٤ .

٣ ان الحدود السورية التركية هي غير الحدود الشمالية لولاية
حلب في القرن السادس عشر ، فمدينة كلس مثلاً هي الآن داخل
الحدود التركية ، كما وان الحدود الحاضرة لسوريا وفلسطين ولبنان
هي غير تلك التي كانت حدوداً على زمن « عيني علي » .

يوجد ١٦٧٦ اقطاع داخل حدود الجمهورية السورية الحديثة وهاتني (وراضي هذه الأخيرة قسمت آنذاك بين المراكز المجاورة) .

لقد كتب « عيني علي » كتابه عام ١٦٠٩ . غير ان الأرقام المأخوذة عنه هي بالحقبة اقدم منه ^١ بنحو من عشرين عاماً . وحسب القانون الاقطاعي العثماني كان عدد الاقطاعات في كل ولاية ثابتاً نسبياً باعتبار ان نواة كل اقطاع (او قليج - القطعة التي كان يستخرج منها اقل حاصل معين بالنسبة لدرجة الاقطاعات) وحدة لا تتجزأ . ولما كانت ارقام « عيني علي » تتعلق بهذه الوحدات فهي اذن تمثل على الأرجح وضعية الأشياء في ولاية حلب بعد الفتح ، وفي ولايتي طرابلس ودمشق بعد اخماد ثورة الغزالي ، ومن جهة ثانية فان « عيني علي » جمع هذه الأرقام بعد فوات الاوان .

في عام ١٦٠٥ - ١٦٠٧ حاول الأمير علي جنبلاط

١ تيشندورف Tischendorf ، ص ٥٨ ، ١٠٠ ، ١١٨ .

ان يصبح حاكماً مستقلاً على سوريا وفلسطين فاحتل
النقاط الرئيسية في الولايات الثلاث وهزم الجيوش
العثمانية ^١ الاقطاعية . وبعد اخفاق هذه الثورة لم نعد نسمع
بأقطاعات عسكرية . وقد جهل فولني (Volney, 1783 – 1785)
كما جهل الرحالة دارفيو (D'Arvieux, 1664) من قبله
وجود اقطاعات عسكرية سابقة في سوريا وفلسطين ^٢ .
ونحن نعلم ان السلاطين العثمانيين اعتبروا كل بلاد خسروها
— ولو منذ عامين او ثلاثة فقط — كأرض للعدو (دار
الحرب) وتصبح بعد ان يفتتحوها ثانية غنيمة حربية ^٣
من غنائمهم ، وفيئاً من افيائهم . ولقد أخذت هذه النظرية
عام ١٦٠٧ حجة للاستيلاء على الاقطاعات العسكرية في

١ Hammer م ٢ ، ص ٧٠٥ – ٧١٠ . شدياق ، ص ١٣٢ –

١٣٦ .

٢ Volney م ٢ ، ص ٣٧٣ . Roque ، ص ٧٥ .

٣ جبرتي ، م ٤ ، ص ٩٤ ، س ١١ – ١٣ . ونجد مثل هذه

الحالة على عهد المماليك سابقاً : سلوك ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٥٩ ،

رقم ٧١ .

سوريا وفلسطين . اما السبب الحقيقي فمأئد الى زيادة التدريب على استعمال البنادق التي حطت من أهمية الفروسية الحق ، لاسيما في المناطق الجبلية ، والى ان جيوش الفلاحين والمأجورين التابعين لعلى جنبلاط الذين شلوا جهود المشاة^١ والمعسكرات الاقطاعية ، والى الاضطرابات والثورات المتواصلة في الاقطاعات العسكرية في سوريا وفلسطين ، والى بعد الاقطاعات النسبي عن حدود الامبراطورية ، كل هذه الأسباب أدت الى اتخاذ مثل هذا الاجراء .

١ في عام ١٦٦٤ سمعنا ان البنادق الحربية كان يقتها الفلاحون العاديون ، مع ان البدر لم يكونوا في ذلك الوقت متمرنين بعد على استعمال السلاح . Roque ، ص ٧٨ . وفرسان على جنبلاط لم يفوقوا الاعداء عدداً . Hammer, loc. cit.

تلتزم ممتلكات السلطان

في زمن الماليك كانت كل قرية خاصة بالسلطان في
عهدة ملتزم (متدرك) وهو اما حاكم الولاية ^١ او شيخ
من البدو او رجل دين او شخص آخر ذو مال ونفوذ .
وكان هذا المتدرك يجمع الضرائب من الفلاحين وذلك على
نوعين : الفصل ، وهو كناية عن ضرائب معينة ثابتة
تدفع سنوياً على الحصاد والغلال . وكان هذا الاجراء
سائداً في الأراضي الواقعة على الشاطئ السوري الفلسطيني

١ كان معروفاً بالمتدرك (ظاهري ، ص ١٠٧ ، س ٩ ، ص
١٣٠ ، س ١٣ - ٢٠ . حوادث ، ص ٧٢٤ ، س ٥) ، او مدرك
(حوادث ، ص ٦٥٥ ، س ١ - ٨ . ابن اياس ، م ٤ ، ص ٣١٨ ،
س ١ . ص ٣٢٧ ، س ٧) ، او عامل (نجوم ، م ٦ ، ص ٣٩٩ ،
س ١٤ - ٢٠ . ابن اياس ، م ٤ ، ص ١٠٥ ، س ٣ ، ص ٣١٨ ،

ومن ثم امتد الى مصر في القرن الخامس عشر^١ . والنوع الثاني : الضمان ، وهو كناية عن اتفاق يحدد سنوياً وتحدد به الكمية التي يجب دفعها في تلك السنة . وكان جارياً في القرى الواقعة في سهل دمشق واكثر مزارعها من الأشجار المثمرة^٢ ومحتمل ان يكون نافذاً ايضاً في اقسام اخرى من تلك الولاية . اما مدير الدائرة الملكية (ديوان المفرد وديوان الدولة والديوان الخاص او ديوان الذخيرة) فاقدر كان رئيساً على المتدركين في القرى الواقعة ضمن دائرة نفوذه ، وكان يجمع الضرائب بواسطة مزارعين محليين . وهنا يجدر بالذكر انه في اثناء الشطر الأكبر من

س ٣) . وراجع ايضاً حوادث ، ص ٦٩٢ ، س ١ - ٤ .

١ نويري ، م ٨ ، ص ٢٦٠ ، س ١٠ ، ص ٢٦١ ، س ٢ .
ظاهري ، ص ١٣٠ ، س ١٤ - ٢١ . وكلمة فصل حسب زعم
النويري هي من اصل فرنكي Frankish بمعنى تابع الملك او
الامير (Vassal ?) .

٢ Anonym ، ص ٨٢ ، س ٢١ - ٢٣ . وهو النظام المتبع في
احتكارات السلطات الصناعية والتجارية (الجهات المضمونة .
ظاهري ، ص ٩٧ ، س ١٧ - ١٨) .

عهد الممالك كانت املاك كل دائرة متفرقة في انحاء مختلفة من مصر (اما في سوريا وفلسطين ولبنان فلم تكن نسمع بسوى الاقطاع « الخاص ») ، ويدير شؤون كل جزء صحراوي من اطرافها (او تقسيط)^١ رئيس متدرك (ملتزم) يعرف بـ « المتحدث على او المتكلم على » . وكان بعض هؤلاء المتدركين الرؤساء امراء رقيقي المنزلة . فزراعة القسم الأكبر من مصر العليا مثلاً كانت تحت اشراف الدواidar الأعظم^٢ . وفي السامرة (جبل نابلس وتوابعه)

- ١ ابن اياس ، م ٤ ، ص ٣٢٩ ، س ٢٢ ، ص ٣٣٠ ، س ٤ .
ص ٣٧٧ ، س ٩ - ١٣ ، ٢٠ ، ص ٣٩٨ ، س ١ - ٢ .
- ٢ ابن اياس ، م ٢ ، ص ١١٢ ، س ٢٦ - ٢٧ ، ص ١١٥ ،
س ٢٧ - ٢٩ ، ص ١١٦ ، س ١٣ ، ص ٢١٨ ، س ٢١ ، م ٤ ،
ص ١٦٠ ، س ١١ - ١٣ ، ص ١٨٠ ، س ٥ ، ص ٢٦١ ، س ٢٢ ،
ص ٢٩٨ ، س ٨ ، ص ٣٢٧ ، س ١ - ١٨ ، ص ٣٨٨ ، س ١٩ ،
م ٥ ، ص ٢٩٥ ، س ٢٠ . وكانت الابحارات التي يدفعها الملتزمون
في مصر العليا عام ٨٧١ هـ . معينة بـ (١٦٠،٠٠٠) اردب من نوع
الحنطة (الاردب الحديث في مصر يعادل حوالى ١٩٨ لبتراً .
حوادث ، ص ٥٣٠ ، س ٢٤ - ٢٦) .

كان الدوادار مشرفاً على زراعة الأراضي السلطانية^١ ايضاً .
وإراضي سهل بيسان كانت أحياناً تحت إشراف حاكم
دمشق العام^٢ . وكان الوزير نفسه يشرف أحياناً على
الأراضي وذلك في حالة كون الموظف المشرف أميراً لا
قائداً وطنياً^٣ .

وفي زمن الفتح العثماني أصبح القسم الأكبر من

١ مجير ، ص ٦٨٦ - ٦٨٧ ، ٦٩٤ - ٦٩٥ ، ٧٠٢ . ابن أبياس ،
م ٤ ، ص ٥١ . وكان سكان المدن الفلسطينية مرغحين على شراء
زيت الزيتون الذي تنتجه أراضي هذه الممتلكات بأسعار جائرة
محدودة .

٢ صبح ، م ٤ ، ص ١٨٣ ، س ١٧ - ١٨ ، ص ١٨٨ ، س ٦ -
٧ ، ص ١٩٠ ، س ١٩ - ٢٠ . ولقطة الاغور تعني ضاحية بيسان
(تعريف ، ص ١٧٨ ، س ١٥ - ١٦) ، كما ان لقطة الاغور التي
ذكرها M. Sobernheim في وصفه دمشق في :

Das Zuckermonopol unter Sultan Barsbai

(Zeitschrift für Assyriologie م ٢٧ ، عام ١٩١٢) هي ولا
شك بالمعنى نفسه وليست تعني الاهواز او البحرين التي لم تكن
مطلقاً تابعة لدولة المماليك .

٣ ابن أبياس ، م ٢ ، ص ٢١٥ ، س ١١ ، ١٧ ، م ٤ ، ص
٢٦ ، س ٥ .

الأراضي المصرية أرضاً سلطانية لأسباب الأراضي القديمة الخاصة بسلاطين المالك والاقطاعات العسكرية وكل الأراضي التي لم يتمكن واضعو اليد عليها من إبراز حجج ملكيتهم الشرعية^١. فالاسكندرية ودمياط والرشيد وبورس أصبحت جميعها من أملاك قصر السلطان (دار السعادة)، وظل يدير شؤون هذه الأملاك مندوب عن القصر (وكيل) حتى عام ١٨١٢ حيث ألحقت هذه الوظيفة بكيخية والي مصر العام^٢ (وهو مدير شؤون الوالي) . أما إدارة ما تبقى من الممتلكات السلطانية فاصبحت على زعم ابن اياس معروفة بالبلاد السلطانية^٣

١ ابن اياس ، م ٥ ، ص ١٥٨ ، س ١٤ - ٢٣ ، ص ١٦٧ ، س ١٩ ، ص ١٧٦ ، س ٩ - ١١ ، ص ١٨٤ ، س ٢٠ ، ص ١٨٥ ، س ١٦ ، ص ١٨٦ ، س ٦ - ١٥ .

٢ ابن اياس ، م ٥ ، ص ٣٩٦ ، س ٥ - ١٣ ، ص ٤٠١ ، س ١ - ٤ ، ص ٤٠٥ ، س ٥ - ٧ ، ١٦ - ١٨ . جبرتي ، م ٣ ، ص ٦٢ ، س ٢٩ - ٣٠ ، م ٤ ، ص ١٤٥ ، س ١٣ - ١٩ .

٣ ابن اياس ، م ٥ ، ص ٤٠٣ ، س ١٤ .

او الاقطاعات السلطانية يشرف عليها والي مصر العام الذي كان عليه ان يدفع من مداخيلها السنوية نفقات الحامية والادارة ، ويدفع علاوة على هذا ضريبة سنوية للسلطان ^١ . وفي السنوات السبع الاولى بعد الفتح كانت هذه الممتلكات في ايدي نفر من الموظفين السابقين المدربين على ادارة اراضي ممتلكات المالك والذين لم يزالوا معروفين بألقاب الشرف المعطاة لهم من سلاطين المالك (ناظر الخاص ، وزير ، استادار العالية وصاحب الديوان المفرد الخ .) وفي كل سنة كان يقتسم هؤلاء الاراضي السلطانية فيما بينهم . وكان كل منهم رئيساً متدرجاً (متحدث على جهات) لضاحية كاملة (الشرقية ، الغربية ، مصر العليا الخ .) يدير شؤونها بواسطة مزارعين محليين ^٢ .

١ ابن اياس ، م ٥ ، ص ٢٥٦ ، س ٥ - ٧ ، ص ٢٥٨ ، س ١٣ - ١٥ ، ص ٢٨٧ ، س ١٩ - ٢١ ، ص ٤٠٣ ، س ٢ ، ص ٤٠٥ ، س ١٦ .

٢ ابن اياس ، م ٥ ، ص ١٥٨ ، ١٨٥ - ١٨٦ ، ١٨٩ ، ٢٠٥

وفي عام ١٥٢٤ اراد احمد باشا الحاكم العام الثائر ان يكتسب عطف الجيوش العسكرية فوزع على قواد الجيش املاكاً ومزارع اصبحت ملكاً خاصاً لهم . ولقد حذا ورثته ^١ حذوه مما حذا على تقسيم الاقطاعات الزراعية الكبرى الى اقسام ووحدات صغرى . اما في سوريا وفلسطين ولبنان فاننا لا نجد ، طيلة القرن السادس عشر ، قوانين وشرائع ثابتة تتعلق بالملكات السلطانية وبتوزيعها بين المزارعين . كما اننا لا نعثر على قانون ينص على شروط زراعية ، فالمزارعون اليهود في مقاطعة طبريا دفعوا للسلطان مقادير وافرة من المال ساعة توظيفهم ، وظلوا يدفعون ضريبة سنوية اصغر ^٢ . وشروط كهذه كانت متوفرة في مصر

— ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٦ ، ٢١٨ — ٢١٩ ، ٢٦٣ — ٢٦٤ ، ٢٧١ — ٢٧٢ ، ٢٨٧ ، ٢٩٥ ، ٤٥١ ، ٤٦٣ — ٤٦٤ ، ٤٨٨ — ٤٨٩ (تقسيط البلاد ، ص ٤٨٨ ، س ١٨ ، اي تقسيمها السنوي مرة ثانية) ، عمال البلاد او العمال (ص ٣٣٢ ، س ١٦ ، ص ٤٤٥ ، س ١٦ ، ص ٤٨٧ ، س ٢٢) يقصد بهم مزارعي القرى .

١ Hammer ، م ٢ ، ص ٣٧ — ٣٨ .

٢ دي افيرو De Aveiro .

دون فلسطين . ويزعم « عيني علي » أن الحكام التركمان في حلب واعزاز ومنجب والمضيق كانوا في بادئ الأمر موظفين يتقاضون رواتب ، واصبحوا فيما بعد رؤساء متدركين في مناطقهم . وبعد اخفاق ثورة علي جنبلاط اتخذت الممتلكات السلطانية ^١ شكلاً رئيسياً لوضع اليد،

١ اما في سوريا وفلسطين فان هذه الاراضي معروفة حتى اليوم باراضي « اميري » (مختصر للاراضي الاميرية) او « الاراضي السلطانية » . وبالواقع فان وضعها الشرعي يكاد لا يختلف عن وضع الاراضي العشرية الخاصة . وقبل ثورة علي جنبلاط كانت الاراضي السلطانية ومثلها الاراضي الاقطاعية معروفة بـ « ديموز » (وهي لفظة من اصل يوناني Demos معناها « اراضي الجماعة ») او « فصل » و « مفصول » (وهي الاراضي التي كان يلتزمها الرجل على اساس الفصل ويدفعون ايجاراً سنوياً محدوداً) ، بينما الاراضي العشرية الخاصة كانت بمثابة « قسم » ، وكلتاهما تعنيان بمدخل الاسياد من « اراضي الامة او الجماعة » (همر ، م ٢ ، ص ٣٤٤ ، والامير علي عبدالعزيز الحسني في كتابه : تاريخ سوريا الاقتصادي ، دمشق ، ١٣٤٢ هـ . ص ١٤٩) . واستعمال كلمة « قسم » بدلاً من « ملك » كان سببه اطلاق لفظة « ملك » على الاراضي السلطانية في لبنان (شدياق ، ص ١١٢ ، س ١٦ الخ) ، كما اوضحت ذلك في J. R. A. S. ، ص ٩٨ ، عام ١٩٣٧ ، فان هذا الاصطلاح

أصبح يشمل كل الأراضي في البلدان صاحبة العلاقة بنظام المساحة الجديد ، الى ان استقر النظام الاقطاعي الذي بقي نافذاً حتى عهد محمد علي . وهذا النظام العائد بخطوطه الرئيسية الى التقليد العباسي ^١ تضمن نظام توظيف قائماً على ضريبة سنوية يدفعها كل مرؤوس صاحب ارض لرئيسه . وعرف هذا الاقطاع الجديد ^٢ في مصر بـ « التزام » ^٣ وفي سوريا

دخل لبنان عن طريق الاصطلاحات الواردة في الوثائق العربية الاقطاعية للصليبيين . وفي وثائق العباسيين والفاطميين ايضاً كانت تطلق لفظة « ملك » على الأراضي السلطانية الكائنة في حوزة مزارعين وارثين (صبح ، م ١٣ ، ص ١٢٧ ، س ١ ، ص ١٣٢ ، س ٤ ، ص ١٤١ ، س ٩) . بيد ان هذه اللفظة لم تطلق على اراضي المماليك في اثناء الحكم الاسلامي . ولهذا لا نستطيع ان نعتبرها اساساً للفظ « ملك » المستعملة في لبنان .

١ بولياك ، الاقطاعية الاسلامية ، مجلة الدروس الاسلامية ، ص ٢٤٧ - ٢٦٥ ، عام ١٩٣٦ . وقد اعترف العثمانيون بهذا التشابه الصريح (ابن اياس ، م ٥ ، ص ١٢٢ ، س ٢٠) .

٢ جبرتي ، م ١ ، ص ٣٠٩ ، س ٢٠ ، ص ٣١٨ ، س ١٠ ، م ٣ ، ص ١٦٧ ، س ٨ ، ص ١٧٣ ، س ١٥ ، ص ١٧٥ ، س ٢٠ . شدياق ، ص ١٠٩ ، س ١٧ ، ص ٣٧٦ ، س ٦ ، ص ٣٧٩ ، س ٦ ، ص ٤٠٣ ، س ١٢ ، ص ٤٠٤ ، س ١ - ٣ وفي عبد المماليك

ولبنان وفلسطين بـ « مقاطعة »^١ ، ولم تكن هذه مقاطعة عسكرية اذ انه لم يشترط بها ان تكون ذات صبغة

كانت هذه اللفظة تعني « وجوب دفع كمية معينة بالتقسيط » (ابن اياس ، م ٤ ، ص ٢٦٣ ، س ٨) . وفعل « التزم بـ » لم يزل مستعملاً بهذا المعنى عند ابن اياس في حديثه عن مزارعي الاراضي السلطانية بعد الفتح العثماني (م ٥ ، ص ٢١٨ ، س ٢١ ، ص ٤٦٣ ، س ٢٠) . واصبح معناها اخيراً « التولي على اراض سلطانية وعلى العبيد العاملين فيها » (جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٦ ، س ٣١ ، ص ١٩١ ، س ٢٩ ، ص ٢٠٨ ، س ١٠ ، ص ١١ ، ص ٢٣٤ ، س ٢) ، ولها معان اخرى ايضاً « التولي على اي مصدر من مدخول الدولة » ، و « مسؤولية دفع الميري للدولة » وقد عرفت في مصر بلفظة « ضمة » (جبرتي ، م ١ ، ص ١٥٢ ، س ٥ ، ص ٢٥٥ ، س ٣ - ٨) ، وعرفت في سوريا ولبنان وفلسطين بـ « وحدة » (رسم ، م ١ ، ص ٧٦ ، س ٥ - ٧ ، م ٢ ، ص ٤٤ ، س ٣ - ٤ ، ص ٤٤ ، س ١٥) . لهذا فالموظف الذي عين عام ١٨١٠ ليشرف على هذه المدفوعات في مصر كان يدعى « كاتب الضمة » (جبرتي ، م ٤ ، ص ١٠٨ ، س ٢٨ - ٢٩) . وفي المقاطعات اللبنانية كان المتولون معروفين باسم « مشايخ الوحدة » (ميخائيل ، ص ١٠٧ ، س ١٤) . وكان سكان مقاطعة مزروعة في فلسطين وسوريا يعرفون بـ « اهل الوحدة » (رسم ، م ٢ ، ص ٧٠ ، س ٥) . وعرف ملتزم او متول على مقاطعة او قرية ، احياناً ، بـ « متوحد » .

١ . Recueil de Firmans, p, 7, n° 22.

عسكرية خاصة او جزءاً من ممتلكات الجيش ، انما كانت قائمة على دفع الخراج . ومهما يكن فلقد كان للاقطاعي الحق باستخدام قوة مسلحة كافية لجمع الضرائب تأتمر امره . واطالما استخدم الاقطاعي هذه القوة لحل نزاع بينه وبين جيرانه ، او لتوسيع حدود املاكه ، او لنجدة رئيسه لدى وقوعه في مشكلة مشابهة . وكانت الحكومة المركزية الضعيفة تنفذ هذه التغييرات بقوة السلاح . فاقليم مصر مثلاً زرع بواسطة طائفة من القواد العسكريين العاملين في مجلس (ديوان) الحكومة المحلية . ولم يكن الحاكم العام سوى موظف ذي راتب وممثل للحكومة المركزية التي كان عملها مجرد تنفيذ أحكام الديوان . اما العضو الأكثر نفوذاً في الديوان فكان شيخ القاهرة (شيخ البلد) الذي تنعته بعض المراجع بـ « امير مصر »^١ . وبمثل هذه الطريقة زرع الديوان كل ممتلكات الدولة وتولى

١ جـبرتي ، م ١ ، ص ٢٥٨ ، س ١٩ - ٢٠ ، ص ٤١٤ ،

س ١ ، م ٢ ، ص ١٥١ ، ٢٦١ .

ادارة دخلها (ما عدا الممتلكات الخاصة للقصر الملكي) ،
وكان عليه ان يغطي مصاريف الادارة المحلية وان يرسل
مبلغاً سنوياً محدداً الى الخزينة ^١ (او الخزنة) في
القسطنطينية . اما الملتزم او المزارع المحلي لممتلك سلطاني
فكان يجمع ايجارات الاراضي المزروعة (خراج) من
الفلاحين ويدفع للديوان ضريبة محدودة (الميري) ^٢ على كل
قيراط (جزء من اربعة وعشرين) من القرية . وكان
له حق الاحتفاظ بالباقي من الخراج و « الفائض » ^٣

١ مرسيل Marcel ، ص ١٩٥ ، ٢٤٤ . جبرتي ، م ١ ، ص ١١٤ ،
س ١٣ - ١٤ ، م ٢ ، ص ١٩١ ، س ٦ . الامير الذي تولى امر شحنها
كان يعرف بـ « امير الخزنة او سنجق الخزنة » (مأخوذة على
علائها من مقدمة Recueil de Firmans) .

٢ ميري ، مال الميري ، الميري ، مال ميري ، الاموال الميرية ،
المال والغلال الميرية ، الغلال والمال الميري ، المال والغلال . جبرتي ،
م ١ ، ص ٣١٨ ، س ٢٤ ، م ٢ ، ص ١٩ ، س ١٢ ، ص ١٧٨ ، س
٢٨ - ٢٩ ، ص ١٧٩ ، س ٤ ، ص ١٩٣ ، س ١٧ ، م ٣ ، ص ٧٩ ،
س ٤ ، ص ١٩٤ ، س ٨ ، ١١ - ١٢ .

٣ « الفايط » ايضاً ، وهي لفظة بمعنى الفائض (جبرتي ، م ١ ، ص
١٥٠ ، س ٣٣ ، ص ١٨١ ، س ٢ ، م ٣ ، ص ١٩٨ ، س ١٥ ، ص

لنفسه . ولم يعد القيراط معتبراً كحصة مشتركة في اراضي القرية كما كان في عهد المماليك ، وانما اصبحت كناية عن قطعة من الأرض حددت ومسحت يوم جرت المساحة العامة عام ١٥٢٦ ١ . وكان الالتزام بمجموعة من القرايط التي قد تكون اجزاء من قرى مختلفة . والالتزامات اذن كناية عن قطع ارض او حصص ٢ مختلفة المساحات . فالالتزامات الكبيرة كانت تشمل احياناً مقاطعات بكاملها ٣ . واصغر

٢٦٧ ، س ١٦ ، م ٤ ، ص ١٠ ، س ٤ ، ص ٩٣ ، س ١٨ ، ص ٩٥ ، س ٢٣ ، ص ١٠٩ ، س ٣١ ، ص ١٢٣ ، س ٢٣ .

١ مرسيل Marcel ، ص ١٩٦ - ١٩٧ . همر Hammer ، م ٢ ، ص ٣٤٣ . اسحاق ، ص ١٣٦ ، س ٣ - ٧ . جبرتي ، م ٤ ، ص ٦٠ ، س ١٤ ، ص ٧١ ، س ٣ - ٤ ، ص ٨١ ، س ١٢ - ١٣ ، ص ١٢٣ ، س ٢٢ - ٢٣ .

٢ جبرتي ، م ٣ ، ص ١٦ ، س ١٩ ، ص ١٣٥ ، س ١٤ ، ص ١٤٠ ، س ١ ، ص ١٧٣ ، س ٣٠ ، ص ١٧٩ ، س ٢٠ ، ص ١٩٨ ، س ٦ ، ص ٣٤٥ ، س ١٠ ، ص ٣٤٦ ، س ١٨ ، م ٤ ، ص ١٠ ، س ٤ . وردت سابقاً عند ابن اياس ، م ٤ ، ص ٢٢٨ ، س ١٩ ، وهي مرادف لكلمة اقطاع ، مفردتها « حصة » (تعليقات اعطيتها في ص ١٠٦ J. R. A. S. ، عام ١٩٣٧) . - ٣ جبرتي ،

هذه الالتزامات هو القيراط او نصف القيراط ^١ . وزيادة على ضريبة الميري كان يجمع الملتزمون احياناً من مواليتهم ضرائب اضافية يفرضها الديوان ^٢ . اما القواد العسكريون فلطالما التجأوا الى التزاماتهم في مصر العليا كلما تغلب عليهم حزب منافس في القاهرة ، فتصبح هذه الالتزامات اذ ذاك شبيهة باتحاد دويلات صغيرة لكل منها حكامها المستقلون (امراء الجنوب او الامراء القبالي) . ولطالما اعلن هؤلاء حروباً مفتوحة على سلطات القاهرة . وفي احيان اخرى نراهم على اتفاق مع القاهرة يدفعون الميري ويتفقون على خط الحدود الفاصل . واتحادات كهذه قامت عام ١٧٦٤ - ١٧٦٧ ، وعام ١٧٧٦ - ١٧٧٧ ، ومن ١٧٨٦ - ١٧٩١ ، ومن ١٧٩٩ - ١٨١١ (وقد تخلل هذه الفترات اضطرابات قصيرة متقطعة) . وكان السيد الاكثر نفوذاً

م ١ ، ص ٣٠٨ ، س ١٧ ، م ٢ ، ص ٢٥٧ ، س ٣١ ، م ٣ ، ص ١٦٨ ، س ٥ - ٦ ، ص ١٧٥ ، س ٢٠ - ٢٣ . مرسيل Marcel ، ص ٢٣٤ .
 ١ جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٠٤ ، س ١ - ٢ .
 ٢ جبرتي ، م ٤ ، ص ١٠٩ ، س ١٢ - ١٨ .

يتأس الاتحاد ويلقب احياناً بـ « امير الصعيد »^١ .
هذا في مصر ، واما في سوريا ولبنان وفلسطين فلقد
كانت ادارة الاقليم ، وزراعتة في عهدة الحاكم العام الذي
كان عليه ان يدفع الى خزينة القسطنطينية ضريبة^٢ سنوية
علاوة على مصارقات الشؤون الادارية ، ويضيف ما تبقى
من المداخيل الى ثروته الخاصة . وفي عام ١٦٦٠ رفع عدد
الولايات من ثلاث (دمشق طرابلس وحلب) الى اربع .
ودعيت هذه الولاية المضافة بولاية صيدا ، وما لبثت
معروفة بهذا الاسم الى ما بعد انتقال مركز الحاكم العام
الى عكا سنة ١٧٧٧ . اما وظيفة الرئيس المتدرك (المحصل)
فكانت منفصلة احياناً عن القائد العام (مثلاً في ولاية

١ جبرتي ، م ٣ ، ص ٨٢ ، ص ١٤ ، ص ١٠٦ ، ص ١٧ ، ص ١٩٢ ،
ص ٨ . عن اثر مباحثاتهم مع القاهرة راجع : م ٢ ، ص ١٥٤ - ١٥٧ ،
ص ١٧٢ - ١٧٤ ، ص ١٨٢ ، ١٩٣ ، م ٣ ، ص ٢٢٨ ، ٣٤٥ ، ٣٥١ ،
م ٤ ، ص ٨٩ - ٩٠ ، ص ١١٣ .
٢ « مال الارسالية » ، شدياق ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ ، ص ٢٨٠ ،
٣١٣ .

حلب على عهد فولني Volney . وكان للمقطعي او المتدرك المركزي الحق بزراعة مقاطعة بكاملها . وكانت البلاد مقسومة الى مقاطعات ثابتة من هذا النوع . فلبنان مثلاً كان مقسوماً الى اربع وعشرين مقاطعة ، والسامرة والجليل الى ثماني عشرة مقاطعة ^١ . ولم تكن املاك المقطعية متساوية ، فمنهم من امتدت املاكه الى مقاطعات عديدة ، ومنهم من تولى جزءاً من مقاطعة (نصف او ثلث) . وندر ان امتدت املاكه الى قرية كاملة او قرى عديدة ^٢ . وكان المقطعي عادة يزرع مقاطعته بواسطة فلاحي القرى الذين استأجروا قراهم منه ، كما انه كان يدفع الميري ^٣

١ شدياق ، ص ١٩ - ٣٣ ، ٣٥٢ - ٣٥٦ P. E. F. Q. S . عام ١٩٠٥ ، ص ٣٥٢ - ٣٥٦ .

٢ شدياق ، ص ٣٠ ، س ١ - ٢ ، ص ٩٠ ، س ٨ ، ص ١٠٥ ، س ١٤ - ١٥ ، ص ١٢٧ ، س ٢ - ٣ ، ص ١٤٥ ، س ١٥ - ١٦ . الوثائق التي جمعها رستم (م ١ ، ص ١٢١ - ١٢٣ ، م ٢ ، ص ٢٤ - ٢٦ ، ص ٥٣ - ٥٤ ، ص ٥٩ - ٦٠ ، ص ٦٩ - ٧١) .

٣ المال الاميري (شدياق ، ص ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٦ ، ٣٧٠) ، الاموال الاميرية (شدياق ، ص ١١١ - ١١٣) ، المال السلطاني (شدياق ،

أحياناً كثيرة إلى شخص آخر غير الحاكم العام ، وهذا الشخص كان بدوره ملتزماً من الحاكم العام قسماً من الاقليم أو الولاية . وملتزم كهذا كان إما حاكماً عثمانياً (متسلم) كحاكم القدس على عهد فولني مثلاً ، أو شخصاً ذا نفوذ كبير في بلاد جبلية تقطنها قبيلة واحدة أو عنصر ديني واحد (على مثل هذه الأراضي أطلق Volney اسم Pays abonnées) أي أراضي الضمان . وبينما كانت مداخل الدولة غير الخاضعة لتقسيم الأراضي كرسوم الجمر أو ضرائب الخور الخ... تحصل بواسطة شخص معين (تحصيلدار) أو أشخاص معينين ، كان تحصيلها في سوريا وفلسطين ولبنان يجري بواسطة المقطعية^١ . والميري التي

ص ١٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٣ ، ٣٣٩ ، ٣٧٢ ، ٣٨١) ، مال الميري (ميخائيل ، ص ٦٤ ، ٦٧ ، ٧٥) ، أموال الميري (ميخائيل ، ص ٢٥ ، ١٠٦ ، الميري (ميخائيل ، ص ٧٤ ، ٩٤) .

١ فولني Volney ، م ١ ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، م ٢ ، ص ١٢٨ - ١٢٩ ، ١٥٤ ، ١٦٧ ، ٢٣٢ ، ٣٣٢ - ٣٣٣ . رسم ، م ٢ ، ص ٢٤ - ٢٦ .

كان يحصلها تحصيلدار الاقليم من الملتزمين المحليين كانت كناية عن جزء صغير من الايجار يجمعه هؤلاء . وكانت هذه الضريبة مختلفة باختلاف الاقاليم والولايات ، ففي ولاية صيدا كانت جزءاً من عشرين (في اواخر القرن الثامن عشر) ، وفي مصر من ٤ بالمئة الى ٤٠ بالمئة من الخراج المعروف محلياً ١ . ولقد أعفيت من هذه الضريبة او من جزء منها فئة من المستأجرين رضيت عنها السلطات . وكان الاعفاء الدائم من الميري يمنح بمرسوم ملكي فقط ، وارض كهذه اطلق عليها في مصر لقب « خزينة بند » . اما في سوريا ولبنان وفلسطين فلقد كان هذا الاعفاء يمنحه المتولي الأعلى (الحاكم العام كأمر لبنان مثلاً) . ولهذا فقد كان يتبع الاعفاء زيادة في الميري على المزارعين والمجاورين المحليين ٢ ، كما ان المقاطعات التي في يد الحاكم

١ براون (زار عكا في عام ١٧٩٧) على ما ذكرته PEFQS ص ١٣٧ ، عام ١٩٠٦ . Lancet . مذكرات عن نظام وضع الاراضي (وصف مصر ، دولة حديثة ، م ١) ، ص ٢٥٤ . - ٢ جبوتي ، م ٤ ،

العام والجنود كانت في سوريا وفلسطين معفاة من الميري
ايضاً ومعروفة بـ « اربلق » و « تيمار » . وفي هذه الحال
كان الاعفاء ثابتاً حتى وفاة واضع اليد فقط ، بينما كان
معنى الاعفاء في الحالة الاولى ان حساب الخراج المقرر
المستحق على الاقطاع لم يطالب به واضع اليد ^١ .

ونظرياً ، فلقد كان باستطاعة كل رجل غني ان
يصبح مائزماً لقطعة من الأرض . على ان اقلية الملتزمين او
المتدركين كانت من غير المسلمين كالأقباط في مصر ^٢
واليهود في فلسطين ^٣ ورؤساء القبائل المسيحية في

ص ٩٤ ، س ١٤ - ١٧ . رستم ، م ١ ، ص ٢٣ . شدياق ، ص ٩٠ ،
١٠٤ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ٧٠١ .

١ رستم ، م ١ ، ص ٣٦ - ٣٧ . فولني ، م ٢ ، ص ١٦٧ ، ٣٧٤ .
كياتب تشلي : جهانومه ، ص ٥٨٧ .

٢ جبرتي ، م ٣ ، ص ٣٤٥ ، س ١٠ .

٣ عن القرن الثامن عشر ، ي . نبون ، القدس ، عام ٥٦٠٣ قبل
المسيح ، م ٢ ، ص ٥٥ . وكانت هنالك قرى عديدة يدير شؤونها افراد
من عائلة فارحي . وفي النصف الاول من القرن التاسع عشر كان
لها شأن مرموق في الحياة الاقتصادية والسياسية في ولايتي دمشق وعكا ،

لبنان ١ . وكان السواد الأعظم من الملتزمين ينتمي الى
ايعان عسكريين او عشائريين او دينيين .

وفي غضون السنوات الاولى من الفتح كان الزواج
من سكان البلاد محرماً على الجنود العثمانيين المتمركزين في
مصر . لذا نجد قسماً من هؤلاء الجنود يستبدل بين الفينة
والفينة بقوات جديدة من تركيا ٢ . ولما جاء سليمان القانوني
ثبت المعسكر المحلي الذي اصبحت منذ عهده مقسوماً الى
سبعة ألوية ٣ اولاً : المتفرقة او الحرس ، ثانياً : الشاودشية

ميخائيل ، ص ٤٧ ، س ٨ - ٩ .

١ وهم على الاغلب من الموارنة الا آل العازار، فلقد كانوا من
ابناء الكنيسة الارثوذكسية . شدياق ، ص ١٩ ، س ١٠ .

٢ ابن ابياس ، م ٥ ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ، ٢٣٣ - ٢٣٥ ، ٢٥١ -
٢٥٢ ، ٤٠٥ ، ٤٤٦ - ٤٤٧ .

٣ مرسيل Marcel ، ص ١٩٢ - ١٩٤ . هم Hammer ، م
١ ، ص ٣٧٧ ، م ٢ ، ص ٣٤٣ ، ٧٢٤ . جبرتي ، م ١ ، ص ٣١ ، ٣٤ ،
٣٧ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٩٢ ، ٩٥ ، م ٢ ،
ص ١٥٠ ، ١٨٢ ، ١٨٨ الخ . ولفظة « لواء » وردت عند جبرتي بمعنى
« طائفة » او « بلك » او « وجاق » (الشكل العربي للفظ « أوجاق ») .

او جاویشیة وهم محصلو الضرائب ، ثالثاً : جلیان او لواء
الجمال ، رابعاً : التفتشیة او طفكجیان او طفقتشیة — لواء
« الطبجية » او مطلقو النار ، خامساً : الجراكسة ١ فرق
الجیوش التي كانت في خدمة المالیك ، سادساً : الانكشاریة
او ينكجریة او مستحفظان ٢ — ولفظة انكشاري تعني :
قواس ، سابعاً : اعزب او المشاة . والالوية الثاني والثالث
والرابع كانت معروفة بالوية السباهي Sipahis (اسباحیة او
اصبحانیة) وهم جنود احرار استأجرهم السلطان . اما
الانكشاریة فكانوا عبيداً له ٣ .

وهذه الالوية السبعة اصبحت تدريجياً شبه تكمل

- ١ خفضت اوزافهم بسبب عصیانهم (ابن ایاس ، م ٥ ، ص ٤٤٨ ،
٤٥٣) وقصاصاً لثوراتهم عام ١٥٢٣ ، وعام ١٥٢٤ .
- ٢ لساء فان برتشم (M. Van Berchem) فهم عبارة
« مستحفظان » في Journal Asiatique ، م ١٨ ،
سلسلة ٨ ، ص ٦٠ .
- ٣ ابن ایاس ، م ٥ ، ص ٣٦٢ ، س ٦ . جبرتي ، م ١ ، ص ٣٤ ،
س ٢ ، ص ٥٠ ، س ١٩ ، ص ٩٥ ، س ١٦ — ١٧ الخ ...

ورائي لأصحاب الصناعة الملكيين وللتجار وللجنود
المصروفين من الخدمة الذين كانوا يمنحون نفقة معينة من
الدراهم (جامكية) ومن الحبوب (جراية ، غلال الأنبار ،
غلال الشون) . اما حق استلام هذه النفقة فكان قابلاً
للبيع وللوقف على سبيل البر^١ . وهذه النفقة إن دراهم او
خبوباً كانت تؤخذ من ضريبة الميري التي يجمعها الديوان ، كما
انها كانت توزع بواسطة الرجال المتقدمين سنأ (اختيارية)
المثلين للغرف في الديوان^٢ . اما المشاة الحقيقيون
القائمون في خدمة الديوان فكانوا اما مأجورين غرباء
ذوي مركز وضع جداً ، او فلاحين مجندين بصورة

١ جبرتي ، م ١ ، ص ٣٧ ، س ١ - ٤ ، م ٢ ، ص ٢٥٨ ، س
٣٣ ، م ٣ ، ص ٢١٢ ، س ١٨ ، ص ٢١٣ ، س ١٣ (وكان هؤلاء
الافراد معروفين بـ « اصحاب الاتامنة » اي « متسلهو الاسبر » ، م ١ ،
ص ١٤٨ ، س ٣) . Volney ، م ١ ، ص ١٥١ .

٢ جبرتي ، م ١ ، ص ٢٥٣ ، س ١١ - ١٢ ، م ٢ ، ص ١٠٥ ، س
٢٩ ، ص ٢٥٨ ، س ٣٣ ، م ٣ ، ص ٢١٢ ، س ٢١ . مرسيل ، ص
١٩٣ - ١٩٤ .

موقفة^١ . اما فرقة الفرسان مؤلفة من فرسان فيالق
 المماليك الجديدة وهم الفرسان الحقيقيون ويحق لهم
 وخدمهم ركوب الخيل داخل المدن المصرية^٢ . وقوادهم
 حاملو رقم الشرف « ٢٤ »^٣ . وساعة تنصيبهم كقواد
 عسكريين في اقسام اخرى من المملكة كانوا يتسامون
 علماً (رتبة ، غاية) وطبلاً^٤ ، ويطلق عليهم لقب سنجاق
 ييه^٥ او طبيلخانه ييه^٦ . واما القائد فلم يكن مرغماً

١ جبرتي ، م ١ ، ص ١٤٨ ، س ٢ - ٤ ، ص ٣٣٥ ، س ٢٦ ،
 ص ٣٥٠ ، س ٣٢ ، ص ٣٦٤ ، س ٣١ .

٢ فولني Volney ، م ١ ، ص ١٥٣ . وكان عددهم في اواخر
 القرن الثامن عشر يراوح بين ٨٥٠٠ - ١٠٠٠٠ (Volney ، م ١ ،
 ص ١٥١ . جبرتي ، م ٤ ، ص ١١٣ ، س ٢٥ - ٢٦) .

٣ جبرتي ، م ١ ، ص ٥٨ ، س ٢١ - ٢٣ . مرسيل ، ص ١٩٣ -
 ١٩٥ . وهي تشمل عدداً من اصحاب الرتب العالية المرسلين من
 القسطنطينية لسنة واحدة . وغالباً ما كان العدد الحقيقي اقل من ذي
 قبل لاسيما بعد الحملة الفرنسية .

٤ جبرتي ، م ١ ، ص ٣٢ ، س ٣٣ ، ص ٣٣ ، س ٣ ،
 ص ١٠٠ ، س ٢١ . البوق والعلم في عهد المماليك .

٥ عوضاً عن سنجاق ييه (امير العلم) ، وردت عند جبرتي

على زراعة التزام ذي مساحة معينة ، او ان يضع في خدمته
عدداً معيناً من المالك ، لكنه كان مجازاً ومعتبراً بالنسبة إلى
مساحة الالتزام الذي يتولى زراعته وبالنسبة الى عدد المالك
الذين في حوزته ^١ .

اما رتبة « اولاد الناس » فلقد زالت تماماً اذ ان
أكثر اولاد المالك قضوا نحبهم في شرح شباههم ^٢ . ولهذا

« صنّجق » وجمعها « صنّجق » ، وفي المصادر الاوروبية « بيه » .
(مرسيل ص ١٩٣) . ولفظة « امراء » استعمالها جبرتي (م ٢ ،
ص ٢ ، س ٣ - ٨ ، ص ١٥٠ ، س ٢٠ ، ص ١٨٨ ، س ٢٠ -
٢١ الخ) . لقديمي العهد في « الالوية السبعة » كـ « آغا »
(كولونيل) ، « ككتخدا » اي الثاني في القيادة ، جاويز (محصل
الدخل) الخ . ٦ - جبرتي ، م ١ ، ص ٣٢ ، س ٣٣ ، ص ٣٣ ،
س ٣ ، (صاحب طبليخانه) . سلوك ، م ١ ، ص ١٧٣ - ١٧٤ .
رقم ٥٤ .

١ جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٧ ، س ١٠ - ١٢ .
٢ وقد بالغ بها فولني (م ١ ، ص ٩٩) بقوله « واختفى
كل اولادهم في العقد الاول والثاني من العمر » . والارجح ان السبب
الحقيقي كان تفشي ميكروب « السفيليس » بين المالك في
اواخر القرن الخامس عشر (ابن اياس ، م ٢ ، ص ٣٤٤ ، ٣٧٣ ،

أصبحت أملاك القادة في أكثر الأحيان ارثاً للمالكيهم^١ .
وفي عهد الماليك كانت العامة منهم^٢ كخاصتهم أي
من الأجانب لاسيما القفقازيون . وكانوا أثناء مدة ثقافتهم
العسكرية بمثابة عبيد لسيادهم^٣ . أما قواد الماليك والفئة
المعتبرة من عامتهم فاصبحوا ملتزمين^٤ ، كما ان عدداً
وافراً من الالتزامات كان في حوزة نساء واراامل الامراء
والفرسان^٥ اذ ان الممتلكات الشخصية الخاصة بامرأة

م ٤ ، ص ٤٦٠ ، س ٣ - ٧ . فولني ، م ١ ، ص ٢٢٤) .
١ جبرتي ، م ١ ، ص ١٣٩ ، س ١٨ ، ص ٣١٨ ، س ١٠ -
١١ ، م ٢ ، ص ٢٥٧ ، س ١١ ، م ٣ ، ص ١٤٠ ، س ٢٥ - ٢٦ .
٢ وكانوا معروفين بـ « بماليك » او « الفوز » (جبرتي ،
م ١ ، ص ٣٤٦ ، س ٢٨ ، ص ٣٤٨ ، س ٥ . راجع تعليقي على هذه
اللفظة في R. E. J. ، ص ٢٣٧ ، عام ١٩٣٥) . اما من كان منهم
في خدمة قائد فكان كباقي الماليك دون ان يكون عبداً لهذا
القائد مثل (مستخدمو عهد الماليك) اتباع .

٣ Volney ، م ١ ، ص ٨٩ ، ٩٥ ، ١٥١ ، ١٦٦ . وكان
« الاتباع » عادة اتباعاً لقواد من رتب صغيرة .

٤ Volney ، م ١ ، ص ١٧٢ . جبرتي ، ٣ ، ص ٢٦٧ ، س

١٦ ، م ٤ ، ص ١١٣ ، س ٢٧ ، الخ ...

٥ جبرتي ، م ٣ ، ص ١٤٠ ، س ١٢ ، ص ٣٤٦ ، س ١٨ -

كانت حراماً لا يمس ولو أجرم الذكور من عائلتها وحرّموا
من حقوقهم المدنية... وأما المعسكرات العثمانية في سوريا
وفلسطين (وأكثرها من الانكشارية) فتحوّلت تدريجياً
إلى أماكن تعاونية وراثية آمنة يأوي إليها الجنود
المتقاعدون^١ الذين تركوا الخدمة، ويديرون الأراضي بشكل
« تيمارات ». وكانت هذه الأراضي تدفع للمقطعجي ضريبة
أخف من الميري العادية^٢، ولم يعد هنالك من معسكرات
ثابتة للفرسان وللخيالة (كالماليك الجدد في مصر) . وأما
الفرسان غير النظاميين الذين في خدمة الملتزمين والمزارعين
فإنهم إلا مأجورون ليس إلا^٣. وفي القرن السادس عشر

١٩ ، ص ٣٤٧ ، س ٤ ، م ٤ ، ص ٩٣ ، س ١ - ٤ ، ص ٢٠٤ .

١ Volney ، م ٢ ، ص ١٣١ .

٢ رستم ، م ٢ ، ص ٢٥ - ٢٦ .

٣ شدياق ، ص ٢٧٣ ، س ١٣ ، ص ٣١٨ ، س ٢ ، (وخيالة

فخر الدين الثاني وصلت في ١٦١٣ - ١٦١٤ ، إلى أقل من خمس

مئة فارس ، Mariti ، ص ١٢٨) . Volney م ٢ ، ص ١٣٢ -

١٣٣ (كان المجموع على أيامه ثلاثة آلاف وأربعمئة فارس) .

كانت الدولة تمنح موظفيها وحكامها القاباً حسب مراكزهم . فكان الحاكم العام يلقب بـ « بيلريه »^١ وحاكم الضاحية « سنجاق يه » او « مير اللواء » حتى لو لم يكن حاكماً عسكرياً بل موظفاً يتقاضى راتباً شهرياً او ملتزماً^٢ واضع اليد . واستمرت هذه الألقاب طيلة القسم الأكبر من القرن السابع عشر^٣ الى ان تبدلت القاب الحاكم العام العثماني والقاب الحكام بألقاب مدنية (وزير ، متسلم الخ) وخلع على رؤساء القبائل القاب خاصة بهم^٤ .

١ في عهد المماليك ، في القاهرة خاصة ، كان يلقب بـ (جنرليسيمو Generalissimo) ظاهري ص ١١٢ ، س ٢٢ . وقد يكون لقب « ملك الامراء » (المعطى للحكام العامين) ترجمة له ايضاً .

٢ Belin يدخل ، اذن ، هؤلاء الحكام في مجموع الجيوش الاقطاعية ، وليس هذا بصحيح .

٣ روك Roque ، ص ١٠٦ . شدياق ، ص ٢٥٥ ، س ١٤ ، ص ٢٧٠ ، س ٤ ، ص ٢٧١ ، س ١٧ ، ص ٢٧٥ ، س ١٤ الخ .

٤ قبل عام ١٨٥٥ لم يكن في لبنان لبناني مسيحي واحد يحمل لقب « بك » (شدياق ، ص ١٨٧) بالرغم من انه كانت في لبنان عائلتان مسيحيان تحملان لقب « الامارة » (كامراء اني اللمع

اما رؤساء القبائل فهم الملتزمون او المتدركون
والرؤساء والمزارعون في لبنان وقسم كبير من السوريين
والفلسطينيين وقسم اصغر من المصريين . وكان الامراء
المعنيون ^١ حكاماً على لبنان بين عام ١٥١٦ - ١٦٩٧ ،
والشهابيون بين ١٦٩٧ - ١٨٤١ ، وامراء ارسلاف في
الجنوب ، وامراء ابي اللمع في الشمال . وكانت وضعية لبنان
كوضعية البلدان الملتزمة او الاراضي الضمان (Pays abonné)
وهي كناية عن بلاد التزمها حاكمها من حاكم دمشق العام

وامراء الشهابيين المتنصرين) . وكان شرفاً عظيماً لرئيس عشيرة ان
يصبح ولو عضواً بسيطاً في فيلق عثماني (ص ٢٢٢ ، ص ٩ ، ص
٦٨٨ ، ص ٣ - ٤) .

١ حتى عام ١٦٠٣ كان امراء « آل تنوخ » حكاماً مستقلين
عنهم في « الغرب » وفي المنحدرات الشرقية من لبنان . واما ابنا
فراق وشرف الدين اللذان ذكرهما Minadoi (واخذ عنه Mariti ،
ص ٦٣ - ٨١ ، Hammer ، م ٢ ، ص ٥٣٠ - ٥٣١) فكانا اميرين
من آل تنوخ وهما محمد ومنذر (شدياق ، ص ٢٤٦ ، ٢٥٢ ، ٦٧٧) .
وحتى عام ١٥٩٠ كانت بلاد كسروان في حكم العائلة التركمانية
المعروفة بامراء « عساف » .

ومن ثم أصبح التلزم من السلطان مباشرة وذلك بين ١٦٢٤ - ١٦٣٣ ، وأخيراً أصبح من حاكم صيدا العام . أما لبنان الشمالي فكان في أكثر الأحيان تابعاً لولاية طرابلس ويدير شؤونه ممثل لأمير لبنان (من ١٦١٧ - ١٦٣٥ كان المدير من آل الخازن ، ومن ١٦٢٦ - ١٧٦٣ كان على الأغلب من آل حماده ، ومن ١٧٦٣ - ١٧٩٠ من آل شهاب) . وكان هذا المدير تابعاً لحاكم طرابلس ولأمير لبنان في الوقت نفسه .

ولقد سعى الأمير فخر الدين الثاني (١٥٩٨ - ١٦٣٤) ومن بعده الأمير بشير الثاني (١٧٨٨ - ١٨٤٠) بتحويل لبنان الى دولة موحدة يكون فيها الأمير هو المالك الوحيد للأرض ^٢ وهو الذي يتولى امر تقسيمها بين مزارعي

١ Volney ، م ٢ ، ص ١٤ - ١٥ ، ١٥٤ - ١٥٥ . F. Von

Alberg في كتابه : Geschichte des Krieges zwischen Mehemed Ali und der Atomanischen Pforte, Berlin ويتوسع خاص الشدياق . 1837, p. 37 .

٢ Mariti ، ص ١٦٥ . ميخائيل ، ص ١٠٢ ، س ٩ - ١٦ .

الضواحي والمليّمين والمتدركين ويتصرف بها كيفما شاء .
ولو اخذنا الأشياء كما هي وجدنا انه كان على الامير
كلما اراد ان يوجه رسالة الى احد المقطعية ان يستهل
كتابه بـ « اخي العزيز »^١ اذ انه كان بالواقع هو نفسه
واحداً منهم (يعتبر الشدياق ان امراء آل شهاب كانوا
اسياد مقاطعة بيروت) لانه مدين لأصواتهم بانتخابه الى
هذا المركز الرفيع^٢ . وهم بدورهم كانوا مضطرين الى اللجوء
اليه واجابة طلبه اما برضاهم ، واما تحت ضغط
جيران منافسين .

الاسر الدرزية : وهم الاسر الدرزية المقطعية وابرزها
كانت الاسر الآتية : آل ارسلان اسياد الغرب الادنى .
آل جنبلاط اسياد الشوف وجزين والتفاح والخرّوب وجبل

١ شدياق ، ص ٨٩ ، ١٠٤ ، ١٤٥ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٧٤ ،
٣٦٦ .

٢ Mariti ، ص ٩٤ . شدياق ، ص ٣٥٨ - ٣٥٩ ، ٣٧٨ -
٣٧٩ ، ٣٨٦ .

الريحان ١ . وآل تلحوق اسبياد الغرب الاعلى منذ عام
١٧١١ . وآل نكد اسبياد الشحار والمناصف . وآل عماد
اسبياد العرقوب (رؤساء الاتحاد اليزبكي الذي ضم آل
تلحوق وعبد الملك) . وآل عبد الملك اسبياد الجرد منذ
١٧١١ .

الاسر المسيحية ٢ : وابرز الاسر المسيحية كانت : آل
ابو اللمع ، اسبياد القاطع والمتن والشوف البياضي . وآل
الخانن ، اسبياد كسروان منذ ١٦١٣ (وهم اقدم مقطعية
مسيحية) . وآل حبيش ، اسبياد غزير منذ ١٦٨٠ . وآل
الظاهر ، اسبياد الزاوية منذ اواخر القرن السابع عشر .
وآل الدحداح اسبياد الفتوح منذ ١٧٠٤ . وآل ابو صعب

١ اسبياد « كلّس » السابقون وقد هاجروا الى لبنان سنة ١٦٣٠ .
٢ المصادر الرئيسية عن الاسر اللبنانية الاقطاعية هي الآتية :
شدياق ، تاريخ الامير حيدر شهاب (١٩٠٠) ، ا. عواد

Le droit privé des Maronites au temps des émirs
Chifrab. Paris, 1933. شروخ، ق. الباشا ون. س. الدحداح

في Ma. عام ١٩٣٥ - ١٩٣٦ .

اسياد القويطع منذ ١٧٥٣ . وآل العازار اسياد الكورة العليا .

السنيون : اما السنيون فكانوا ممثلين بالامراء الأكراد القاطنين قرية راس نخاش . وكانت الشيعة ممثلة بآل حماده اسياد جبة المنظيرة والاقطاع المجاور لها . وحسب زعم الشدياق فان اصل آل ارسلان يرقى الى ملوك الحيرة قبل الاسلام^١ . وآل شهاب إلى قريشي مرافق للنبي يدعى الحارث بن هشام . ويرجع تاريخ تلحوق ونكد إلى القرن الثاني عشر ، وآل الدحداح إلى القرن الرابع عشر ، وآل حماده إلى القرن الخامس عشر . وآل جنبلاط وحبيش والهازن وامراء راس نخاش إلى القرن السادس عشر . وآل ابو صعب وعماد وابو اللمع إلى القرن السابع عشر . وآل الظاهر

١ انتمى آل تنوخي سابقاً لهذا الاصل (ابن يحيى ، ص ٤٤ - ٤٨) وكذلك الزعماء الرمطونيون (رمطوني) (ابن حجر ، م ١ ، ص ٥٤١) . وفي عهد المماليك اعتبر « بنو ابي الجيش » انفسهم من سلالة القبيلة البدوية « الحميرا » في سهل البقاع (ابن يحيى ، ص ٤٧ ، س ٩ - ١١) .

وعبد الملك إلى القرن الثامن عشر .

وفي القرن الثامن عشر كان ما يقارب عشر اراضي لبنان في حوزة « المقطعية »^١ كإقطاع خاص بهم وتحت تصرفهم المباشر (كأرزاق وعقارات) . وكانت هذه على الأغلب موكولة الى وكلاء يديرون شؤونهم^٢ ، كما ان التسعة الاعشار الباقية من اراضي لبنان كانت موزعة بين اتباع^٣ هؤلاء المقطعية والاديرة والكنائس المسيحية^٤

١ Volney ، م ٢ ، ص ٥٨ - ٥٩ .

٢ أرزاق : شدياق ، ص ١١٣ ، ١٤٦ ، ١٩٠ ، ٥٦٧ . ميخائيل ، ص ٧٦ ، ١٠٦ ، ١٠٧ . وكان آل حماده يسمون اراضيهم « بكالك » مفردها بكليك ، اي ممتلك البك . شدياق ، ص ١٦٧ ، ص ٢ ، ٤ . عقارات : شدياق ، ص ١١٠ ، ١٨٦ ، ٦٨٣ . وكان المدير يلقب بـ « دهقان » . (شدياق ، ص ٦٨ ، ٨١ ، ١٨٦ ، ٣٤٧) ، او « شوباصي » (ميخائيل ، ص ٩٠ ، ص ٢٢) . وهنا يجب ان لا يقع التباس بينه وبين « المدير » الوزير الاول للسيد الاقطاعي .

٣ اتباع واتباع . ميخائيل ، ص ٧٩ ، ص ١٢ ، ص ١٠٧ ، ص ١٥ .

٤ شدياق ، ص ١٣٧ ، ١٩٠ ، P E F Q S ، ص ١٠٤ ، عام

١٨٩١ .

والمزارعين الوارثين مزارعهم وقراهم عن اسلافهم . وكان
امير لبنان ^١ يمنح القاب الشرف الارثية بالنسبة لمساحة
الاراضي التي يشرف عليها صاحب اللقب الممنوح ، فمن
عين متولياً علي قرية اصبح مقدماً او شيخاً ، كما ان
المقطعجي كان ايضاً اما شيخاً واما اميراً ^٢ . وكان الاعيان
والوجهاء والاشراف (مناصب ، وجوه الخ) يركبون
الخيول ويسرون علي رأس اتباعهم وفلاحهم في حالة
عدوان او لحضور اعراس الاعيان والوجوه فقط ^٣ .

وكانت هنالك عائلات اخرى معروفة بعائلات
الخدامين (خدامون) وهم جنود توارثوا الجندية وعاشوا
في خدمة الاسياد الاشراف ، وكانوا يتقاضون رواتب

١ شدياق ، ص ٣٦٥ ، س ١٣ ، ٢١ . وكان المشايخ والمقدمون
يلقبون ايضاً بـ « المقطعية » ، ص ٣٧٧ ، س ٢١ .

٢ شدياق ، ص ٦٧ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ،
١٨٧ الخ .

٣ وكانت هذه العادة موجودة سابقاً عند المماليك . ابن يحيى
ص ١٦٥ ، س ٥ - ٦ .

محدودة تعرف بـ « نفع »^١ .

اما في البلدان المتدركة الاخرى فلقد كان شكل النظام الاجتماعي شبيهاً بنظام لبنان، لكنه كان اقل اتقاناً . وفي قطرين من هذه البلدان تمكن القادة من زمام الامور واصبحوا اسياذ الارض المطلقين : اولاً ، في جبل الدروز الحديث وقد تولى الحكم عليه آل حمدان من ١٦٨٥ الى ١٨٦٩ (وفي البدء كان هؤلاء اتباعاً لأمير لبنان) وآل الأطرش منذ ١٨٦٩^٢ . وثانياً ، في بلاد حارثة (جبل الكرمل والقطاع الجنوبي المجاور له) وكانت تحت حكم آل طرايه المعروفين بـ « سنجاق ييه اللجون »^٣ وهي عائلة

١ ميخائيل ، ص ١٠٨ ، س ١٩ - ٢٠ .

٢ بورون Bouron ، ص ٣٣٣ .

٣ روك Roque ، ص ١٠٦ ، ١٠٨ - ١٠٩ ، ١٥٧ . عن

تاريخ آل طرايه ، راجع ابن اياس ، م ٥ ، ص ٢٩٠ ، ص ٣٢٠ -

٣٧٠ ، ٣٢١ . Mariti ، ص ٢٢١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٨ ، ٢٦٥ . Roque ،

ص ١٠٣ ، - ١٠٤ ، ٢٦١ - ٢٦٢ . شدياق ، ص ٥٥ ، ١٢٦ ، ٢٥٣ ،

٢٥٩ ، ٢٧٩ ، ٢٨٧ ، ٢٩٦ ، ٣٠٤ - ٣٠٥ ، ٣١٥ ، ٣١٨ - ٣٢٣ ،

٣٣٥ - ٣٣٦ ، ٣٥٧ ، ٦٧٦ (وكان اسم الأمير حسب الكتابة على

من البدو حكمت تلك البلاد حتى العام الستين من القرن السابع عشر . وهناك ايضاً آل حرفوش الامراء الشيعيون واسباد بعلبك وسهل البقاع ^١ . وآل زيدان المشايخ البدو واسباد الجليل في الارباع الثلاثة الاولى من القرن الثامن عشر ^٢ وكانوا يحتلون في مناطقهم مراكز شبيهة بمركز امير لبنان في بلاد ، وطالما كانوا مستقلين عن تبعته .

اما بلاد العلويين (النصيرية) فكانت مقسومة الى مقدمات عديدة تدفع الميري لحاكم طرابلس العام . وكانت جبال نابلس (سماريه) مقسومة ايضاً بين مشايخ عديدين ينتخبون من وقت الى آخر رئيساً عليهم او يدرون

حجر منقوش عساف بن تيمور بيه (Z. D. P. V. ، م ٣٠ ، عام ١٩٠٧ ، ص ١٤٦ ، م ٣١ ، عام ١٩٠٨ ، ص ٦٢ .

١ ابن اياس ، م ٥ ، ص ٢٤٨ . Mariti ، ص ٦٤ - ٧٥ ، ١١٦ ، ٣٠٨ . Hammer ، م ٢ ، ص ٥٣٠ - ٥٣١ . Volney ، م ٢ ، ص ٨٠ - ٨٣ . شدياق (في محلات مختلفة) . ميخائيل ، ص ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٩ ، ٩٠ .

٢ شدياق ، ص ٣٦٠ - ٣٦١ ، ٣٩٤ - ٣٩٥ ، ٣٩٨ . Mariti ، ص ٣١٥ . ومصادر اخرى .

شؤونهم ككتلة واحدة^١ . ولقد ورد ذكر بعض من هذه العائلات في مصادر المالك^٢ كمائلة آل جيوسي مثلاً (وهم اسياد قطاع بني صعب) . اما عائلتنا عبد الحديث والجرار اللتان اقتسمتا قطاع الشعروية ، وآل طوقان اسياد مدينة نابلس فاصبحوا تدريجياً اكثر بروزاً فيما بعد . وفي اقسام اخرى من سوريا وفلسطين^٣ كان رؤساء القبائل عديدين متفرقين ما بين المزارع والقرى والضواحي حيث كانوا يمثلون ولو لوقت قصير دور الحاكم العام في مناطقهم^٤ . وكانت وضعيتهم غير استقرارية لو اردنا نسبتها الى وضعية اراضي الضمان . وفي مصر كان كل رئيس قبيلة ملقباً

١ رستم ، م ١ ، ص ٧٥ - ٧٦ . ميخائيل ، ص ١٦ ، ٦٣ ، ٧١ ،

١٢ . شدياق ، ص ٣٨٢ . Finn . م ١ ، ص ٢٣٩ .

٢ ابن اياس ، م ٤ ، ص ١٩٣ ، س ٧ - ٨ .

٣ راجع لائحة القبائل الفلسطينية الاقطاعية في P. E. F. Q. S. ،

عام ١٩٠٥ ، ص ٣٥٢ - ٣٥٦ . J. P. O. S. ، عام ١٩٢٩ ، ص

٧٣ - ٧٤ .

٤ مثلاً « ابن سيف » المتحدر من عائلة كردية كان حاكماً عاماً

على طرابلس من ١٥٧٩ الى ١٦١٩ (شدياق ، ص ٣٥٠ - ٣٥٣) .

بـ « شيخ العرب »^١ حتى ولو كان فلاحاً من اصل غير بدوي . وكان بمثابة ملتزم وهو صاحب الدرك اي حامي القوافل والمراكب التي تمر في منطقة نفوذه . وفي عام ١٧٦٩ - ١٧٧٠ شن المملوك شيخ البلد ، علي بك ، غارة شنعاء على هؤلاء ، فاخضعهم وهدم اقوام الامير حمان امير قبيلة الهوارة في مصر العليا ومشايخ الحبيب في القطاعات الريفية وذلك في معركة القليوبية^٢ .

اما روحية الاشراف وحب الجاه المتسرب في دم مديري الاوقاف الموروثة فبلغ حده الاسمى مع العلم بان هذه الاوقاف كانت موهوبة لهم من ايرادات الضرائب ودخل الاوقاف الدينية الاسلامية . واصبحت وضعيتهم الاجتماعية ارفع مما كانت عليه في عهد المماليك ، فلقد

١ جبرتي ، م ١ ، ص ٥٢ ، ١٨١ ، ٣١٨ ، ٣٣٦ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

٢ جبرتي ، م ١ ، ص ٣٤٢ - ٣٤٩ . Marcel ، ص ٢٣٤ . Volney ، م ١ ، ص ١١١ . عن « اصحاب الدرك » ، راجع جبرتي ، م ١ ، ص ٣٤٨ ، ص ٢٥ .

زال النفوذ السياسي وحل محله النفوذ الديني واصبح للقاضي والمفتي في المدن سلطة قضائية على كل السكان المسلمين . اما سكان الارياف فلهم محاكم صلحية وعشائرية خاصة . واصبحت الادارة الدينية اكثر انقساماً وانفصالاً عن الادارة العامة ، وكان اكثر رؤساء الدين وراثيين ، كما وان عدد المثقفين كان اقل ايضاً ، مما جعل افراد هذه العائلات يتدخلون في الوظائف المدنية اكثر من ذي قبل . ففي مدينة صغيرة كالقدس نرى هؤلاء يؤلفون طبقة ارسقراطية خاصة ، فلا يتزوجون الا من بعضهم البعض ، ولا يتعاملون ويتعارفون الا مع بعضهم البعض . وهنا يجب عدم الالتباس بين هؤلاء وبين الموظفين الاتراك الموقتين القلائل الذين يشكلون الحكومة والذين كان لا بد لهم من التعاون مع هذه العائلات ٢ ولا اهمية مأموسة لهم

١ Volney ، م ٢ ، ص ٣٧١ .

٢ Finn ، م ١ ، ص ١٨٠ . وكانوا معروفين هناك (وليس في مصر) بالافندية (جمع افندي - مستر) ، ولقب « افندي »

بغير هذا التعاون .

وحتى في القاهرة نفسها فتمتزة هؤلاء كانت المنزلة الثانية بعد المالك ، وكان في حوزتهم جزء غير يسير من الالتزامات ^١ المصرية . وعلاوة على الأوقاف كانوا يشرفون على الرزق الأحباسية ايضاً ، تلك الرزق التي ظل نطاقها يتوسع وينمو في مصر لزيادات في المنح والهبات التي قدمها السلطان والمتمزمون الذين سلخوا لهذه الغاية قسماً من اراضيهم وممتلكاتهم . وفي مطلع القرن التاسع عشر بلغت هذه الفئة من الأراضي ما يناهز الستمئة الف فدان ^٢

كان اللقب الرسمي لكتاب الحكومة المسلمين (Marcel) ، ص ١٩٤ - ١٩٥ . جبرتي ، م ١ ، ص ٥٣ ، س ٣٢ ، م ٢ ، ص ١٧٦ ، س ٢١ ، م ٣ ، ص ٢٦٧ ، س ١٣ ، م ٤ ، ص ١٢٣ ، س ٢١) .
١ جبرتي ، م ٣ ، ص ٦١ ، س ١٤ ، ص ١٦٦ ، س ١٩ ، ص ٢١٠ ، س ٩ ، م ٤ ، ص ٨٨ ، س ٣ ، ص ١٨٨ ، س ١٦ - ١٧ ، ص ٢٣٤ . Volney ، م ١ ، ص ١٧٢ ، ١٨٨ .

٢ جبرتي ، م ٤ ، ص ٩٣ ، س ١٨ ، ص ٩٥ ، س ٥ ، ص ١٢٣ ، س ٣٣ ، ص ١٢٤ ، س ٢ ، ص ١٤١ ، س ٣٢ ، ص ٢٠٩ ، س ٣١ - ٣٢ .

(٦٠٠,٠٠٠) في مصر العليا واصبحت الفئة الرئيسية للأراضي هناك .

وفي عام ١٧٩٨ يوم اخرجت الجيوش الفرنسية المالك من مصر السفلى اصبح الشيوخ الروحيون اسياد الطبقة الاولى في المجتمع . فالديوان الجديد كان في اول الامر مؤلفاً من ممثلين لهم فقط ، بدلاً من الممثلين العسكريين . وكان السبب الشرعي لهذا التغيير ما نص عليه نظام الشورى الفرنسي القائل آنذاك : « يجب ان تؤلف الحكومة من الرجال الأوفر علماً والأكثر خبرة ، اي الطاعنين في السن ١ » .

وخلاصة القول انه كانت لكل بلاد صبغتها ورؤساؤها .
ففي الأراضي الضمان Pays abonné كان المتولون من رؤساء العشائر والقبائل . وفي مصر كانوا من الرجال

١ الشرقاوي : تحفة الناظرين (كتبت عام ١٨٠١) طبعت مع اسحاق ، ص ١٥٤ . جبرتي ، م ٣ ، ص ٥ ، س ٤ - ٨ الخ . ونرى ان لفظة « مشيخة » استعملها الثقات الفرنسيون كترجمة لللفظة « جمهورية » .

العسكريين والروحيين والأشراف العشائريين (وكلهم من سكان البلاد الدائمين) . وفي سوريا وفلسطين اللتين كانتا تحت الحكم العثماني المباشر كان المتولون من الأعيان المواطنين أحياناً ، ومن الموظفين الأتراك أحياناً أخرى ^١ . ولقد كان الحاكم العام التركي مندوباً لمدة سنة واحدة فقط ، وامتيازات وضع اليد وحق التصرف كانا يتغيران بالتوالي .

أما لبنان في زمن فولني Volney فلقد كان بالواقع ممتلكاً خاصاً « مقدساً شأن الحال في أوروبا » ^٢ . وكان الالتزام المصري ممتلكاً لدى الحياة ، وللمتولي حق التنازل والرهن والإيجار ^٣ والبيع .

وبعد موت المتولي كان لأولاده ومماليكه الحق

١ J. A. 6^e ser. p. 7, Recueil de Firmans ، م ٤ ، ص

٣٥١ ، (عام ١٨٦٤) .

٢ Volney ، م ٢ ، ص ١٧ ، ٣٦٩ .

٣ « فغار » تحويل (جبرتي ، م ١ ، ص ١٨١ ، س ٢٧ - ٣٢) ،

أو نزول ، (ص ٣٠٥ ، س ١٤) ، أو رهن ، ص ١٨١ ، س ٢٦ .

أو إيجار ، ص ١٨١ ، س ١ ، ١٣ .

الأسبق بزراعة ^١ هذا الممتلك والا فيعتبر اقطاعاً خالياً
(محلول) ^٢ وعلى المتولي الجديد ان يدفع للسلطات ثمنًا
(حلوان) ^٣ يحدد بالمزاد العلني . وفي سوريا وفلسطين
كانت املاك السلطان في الأقسام العثمانية تزرع لمدة سنة
واحدة فقط ، وكان من المنتظر ان يعامل الملتزمون مزارعيهم
معاملة صارمة وسيئة جداً . وهذا مما حدا بحكومة
السلطان ان تفرض نظام « المالكانه » (وفي التركية :
المليكاني) وهو نظام تركي شبيه بنظام الالتزام المصري .

١ جبرتي ، م ٣ ، ص ١٤٠ ، س ٢٥ - ٢٦ . Reeneil ، ص
٧ ، رقم ٢٢ . وكان على الوارثين ان يدفعوا رسماً يحدده الديوان .
٢ جبرتي ، م ١ ، ص ٩٩ ، ١٣٩ ، ٢٠٦ ، م ٣ ، ص ١٩٨ ، ٢٥١ ،
٢٦٧ ، م ٤ ، ص ٩٤ ، ٢٥٦ .

٣ جبرتي ، م ١ ، ص ٩٩ ، س ٣٣ ، ص ١٥٠ ، س ٢٥ ، ص
١٨٤ ، س ١٠ ، ص ٢٠٦ ، س ٦ . ابن اياس ، م ٤ ، ص ٢٨٣ ، س
٤ . وهذا يدل على القيمة التي كان السلطان يستوفيها من الامراء
على اراضي الاطلاق عام ٩١٨ هـ .

٤ جبرتي ، م ٢ ، ص ١٥٢ - ١٥٣ ، م ٣ ، ص ١٩٨ ، ٢٨٨ ،
٣٤٥ ، ٣٤٦ .

والجهود المبذولة لتطبيق هذا النظام كانت جهوداً فاشلة
إذ إن حكومة السلطان ^١ عجزت عن حماية هذه الأراضي
حماية تامة كافية ، إن كان من جهة زعماء العشائر الأقوياء ^٢
أو من جهة الحكام العاملين انفسهم . ولطالما حذر هؤلاء
نظام التاجير السنوي وهو الأنسب لابتزاز القسم الأوفر
من المال أثناء مدتهم القصيرة في الحكم . وفي مصر
كانت الالتزامات الصغيرة تحت رحمة جيران اقوياء ^٣ استولوا
عليها عنوة . غير أن نظام وضع اليد كان على وجه عام
أكثر ثبوتاً هناك ، كما وإن جزءاً كبيراً من الأراضي بقي
كأراض غير خاضعة لنظام الاقطاع ^٤ .

١ Belin في J. A. 6^e Sér. ، م ٤ ، ص ٣٥١ - ٣٥٣ ،
(عام ١٨٦٤) .

٢ راجع ميخائيل ، ص ٢٥ ، ٤٤ ، ٩١ - ٩٢ ، ٩٤ ، عن سهل
البقاع .

٣ Recueil ، ص ٣ ، رقم ٥ ، ٦ ، ص ١١ ، رقم ٣٨ .
جبرتي ، م ٢ ، ص ٤٥٧ ، س ٣١ - ٣٢ ، م ٤ ، ص ٦٤ ، س ٣ - ١١ .

٤ في عام ١٨٧٨ وصل مجموعهم إلى ١،٣٢٣،٠٠٠ فدان : Cromer

وفي الأقسام العثمانية من سوريا وفلسطين ألحقت
بأراضي السلطان كل الأراضي العشرية الواقعة في أماكن
غير أهلة بالسكان أو بعيدة عنهم . ومن هذه لأراضي
أفاد الأحكام مداخل طائفة . وبسبب هذا التبدل السنوي
بين الأحكام العامين في سوريا وفلسطين كانت الحالة حالة
قلق وفوضى ، حتى أن ضريبة الميري السنوية تطلبت حملة
عسكرية ^٢ ، كما وأن الأقطاعيين نظموا أنفسهم في أحزاب
ورائية مختلفة (يستطيع أعضاؤها الانتقال من حزب إلى
آخر) منها القفازي والقاسمي بين الأشراف والأعيان
المصريين العسكريين ، ونصف سعد ونصف حرام بين
القبائل المصرية ، والقيسي واليميني بين رؤساء القبائل في

(كرومر) ، ص ٨٩ .

١ Volney ، م ٢ ، ص ٣٦٩ . رسم ، م ٣ - ٤ ، ص ٦٥ ، س

١٤ . P. E. F. Q. S. ، عام ١٨٩٤ ، ص ١٩١ .

٢ « دورة » : جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٦٦ ، س ٢٥ - ٢٦ . ميخائيل ،

ص ٧٣ ، س ٩١ .

سوريا ولبنان ، والجنلاطي واليزبكي بين اللبنانيين ١ .

١ عن مصر راجع Marcel ، ص ٢٢١ . جبرتي، م ١ ص ٢١ -
٢٤، ٥٢، ٦٣ - ٦٤، ٣١٨ . في عهد الممالك كان التنازع بين قيسي
وميني قائماً بين الفلاحين فقط ، بينما القبائل الرحل كانت معتبرة
مينة . سلوك ، م ١ ، ص ١٨٦ ، رقم ٦٥ . تعريف، ص ١١٣ . صبح ،
م ٤ ، ص ٢٠٣ - ٢١٥ ، م ١٢ ، ص ٣٢٤ .

الخدمة الاقطاعية الجبرية

العبودية كلمة يتردد صداها في جميع الأنظمة الاقطاعية التي مررنا بها . ففي كل من تلك الأنظمة كان الفلاح عبداً ياتمر بمشيئة اسياده الاقطاعيين ^١ . فيبقى يعمل في قرية سيده سحابة الحياة دون ان يحق له الخروج منها يوماً .

١ التعبير التكنيكي للعبودية هو « الفلاحة » (خطط ، م ١ ، ص ٨٥ ، س ٣٧) ، ولعبد « فلاح » (خطط ، س ٣٧ - ٣٨ . نجوم ، م ٧ ، ص ٩٣ ، س ١٥ . جبرتي ، م ٤ ، ص ١٠٩ ، س ١٤ ، ص ١٣٠ ، س ٢١ ، ص ٢٠٧ ، س ١٣) ، احياناً مع زيادة متعلق بالارض « قراري » (نويري ، م ٨ ، ص ٢٤٨ ، س ١١) ، او « قرار » (خطط ، م ١ ، ص ٨٥ ، س ٣٨) . اسباد = استاذ (نجوم ، م ٧ ، ص ٩٣ ، س ١٨ . حوادث ، ص ٦٥٤ ، س ٩ . منهل ، م ٢ ، فقرة ٩٤ . جبرتي ، م ١ ، ص ٣٤٩ ، س ١٥ ، م ٢ ، ص ٢٤٠ ، س ٦ ، م ٤ ، ص ٢٠٧ ، س ١٦ ، ٢٢ ، ص ٢٠٨ ، س ١ ، ٧) ، او « السيد » (جبرتي ، م ٣ ، ص ٢٩٤ ، س ٣١) .

اما اذا سمح له بالذهاب من القرية فلمدة قصيرة جداً لا تتجاوز الوقت المعين بساعة واحدة . اما اذا مضى الموعد المضروب ولم يقفل العبد راجعاً الى قريته فان السلطات كانت ترى لزماً عليها رده بالقوة الى اقطاعه سيده^١ ... وبش المعاملة اذ ذاك . فكان السيد تارة يأمر بخلده بالسوط وطوراً يخلده السجن^٢ او يأمر بقتله^٣ . اما اذا نشب خلاف ما بين عبيد فيقف الاقطاعي حاكماً مدنياً

١ ابن اياس ، م ، ٤ ، ص ١٠٤ ، س ١٨ . نويري ، م ، ٨ ، ص ٢٩٨ ، س ٧ . جبرتي ، س ٢ ، ص ١١٥ ، س ٣٠ - ٣١ ، م ٣ ، ص ٢٩٤ ، س ٣٠ - ٣١ ، م ٤ ، ص ٨١ ، س ٢٢ ، ص ٢٠٧ ، س ١٥ - ١٧ . رستم ، ص ١٢ (ملاحظات ، ١٩٢٨) .

٢ ابن اياس ، م ، ٥ ، ص ٣٧٢ ، س ٢٢ ، ص ٣٧٣ ، س ١ . جبرتي ، م ٤ ، ص ٦٨ ، س ٢٨ ، ص ١٩١ ، س ٣٠ ، ص ٢٠٧ ، س ١٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ص ٢٠٨ ، س ١ .

٣ ابن اياس ، م ، ٤ ، ص ١٢٥ ، س ٦ - ٨ (في ٩١٣ هـ . العقاب القانوني) . جبرتي ، م ١ ، ص ١٨٠ ، س ٢٥ (في ١١٤٩ هـ . ربما كان عملاً غير قانوني) خاصة في ارض الضمان (مثل لبنان وسوريا وفلسطين) حيث كان الاسياد زعماء القبيلة في الوقت نفسه .

على عبده ويغني ، اذا هم شاؤوا تحكيمه ، عن « القضاء »
والقانون ^١ . فالسيد يحكم بأمر السلطان ويستبد بأذن
الاقطاعية ، والعبد يأتمر ولو مظلوماً دون ان يفوه ببنت
شفة ، ودون ان يحق له يوماً ان يرفع امره شاكياً ما به
الى السلطات الادارية العليا . فلا علاقة للسلطات بمثل
هذه الامور ولا حق لاحد ان يتدخل بين العبد وسيده .
ومن الطرائف التي تروى من هذا القبيل انه عام ١٥٢١
قام فلاحو « رزقة » يشكون امرهم الى الحاكم العام
ويطلبون اليه التدخل لاصدار اوامره على سيدهم الاقطاعي
بتخفيض الايجارات والضرائب عنهم . فرد الحاكم العام

١ جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٠٧ ، ص ٢٨ ، ص ٢٠٨ ، س ٣ . رستم ،
م ١ ، ص ٧٦ ، س ٧ - ٨ . لاجل معرفة تاريخ المحكمة القبلية
راجع البرغوتي ، « المحاكم بين بدو فلسطين » Journal of the Pa-
lestine Oriental Society ١٩٢٢ ، ص ٣٤ - ٦٥) ومقال و .
خوري في المشرق عام ١٩٣٣ تحت عنوان « القضاء في لبنان على
عهد الحكم الاقطاعي » ، ومعلوف « القضاء في لبنان زمن الامراء
الشهابيين » .

بالإيجاب ، وأمر السيد بأن يجري هذا التخفيض . أما
الاقطاعي فاجاب بكل صراحة ونفور : « لا يحق لأي
إنسان ان يتدخل بين السيد وعبيده ، ولن افعل كذا » .
وبالنهاية وقف الحق بجانب الاقطاعي لا مع الحاكم العام ^١ !
زد عليه انه باستطاعة السيد ان يطلب الى
السلطات معاقبة عبيده اذا شاء او اذا شعر بحاجة الى ذلك .
فيحمل العبد المذنب الى « حاجب » ^٢ المحكمة العسكرية ،
على عهد المالك .

ومقابل حرثة الأرض واستغلالها، كان السيد يتقاضى
من عبيده ضريبة « الخراج » ^٣ . وهي حق فرضه

١ ابن اياس ، م ٥ ، ص ٣٩٥ ، س ١٠ ، ص ٣٩٦ ، س ٣ ، ص
٤٠٠ ، س ٦ - ٢٣ .

٢ نجوم ، م ٧ ، ص ٢٦٧ ، س ١٥ ، ص ٢٦٨ ، س ١ (عن
انسانية احد القضاة الذي لم يكن له من القوة القانونية ما يخوله
ان يحكم لصالح العبد فكان يروجو الاسياد ان يعاملوه بنصيب
اوفر من العدالة) .

٣ نويري ، م ٨ ، ص ٢٤٥ ، س ٨ . خطط ، م ١ ، ص ١٠٣ ،
س ٢٢ . صبح ، م ٣ ، ص ٤٥٢ ، س ١٤ . نجوم ، م ٦ ، ص ٦٩ ،

القانون الاسلامي واعتبره كضريبة « العشر » وضريبة
« الدفع »^١ .

اما في سوريا ولبنان وفلسطين فكانت الايجارات
تدفع حصصاً من المدخول ، وهذا ما يعرف « بالمقاسمة » .
ففي عهد المماليك كان يدفع الثلث او الربع من اغلال
الأرض اذا كانت عادية ، اما اذا كانت صالحة للسقي
تتدفق فيها المياه فيدفع نصف اغلالها ، واذا كانت الأرض
حديثة الاستعمار فيدفع خمسها او سدسها . اما الأراضي
الواقعة على الساحل والمعرضة لغزوات القرصان الاوروبيين
فلا يدفع من غلتها الا السبع او الثمن .
ولتسهيل معاملات الدفع كانت ايجارات الأرض

س ٩ - ١٠ . جبرتي ، م ٢ ، ص ١٠٩ ، س ٥ ، م ٣ ، ص ١٩٤ ،
س ٨ ، ١٢ ، م ٤ ، ص ٢٠٨ ، س ١٠ ، ص ٢٠٩ ، س ٢ ، ص ٢٩٣ ،
س ٣ . و « ربيع » (نويري ، م ٨ ، ص ٢٥٨ ، س ٤) ، ومغل
(خطط ، م ١ ، ص ٩٠ ، س ١٧) ، و « شوبصه » (ميخائيل ، ص ٤٧ ،
س ٨) .

١ حوادث ، ص ١٢٦ ، س ١٤ ، ص ١٢٧ ، س ٢ . ابن الجي ،

المزروعة حبوباً ، مثلاً ، تدفع حبوباً ، والأرض المشجرة
 مالا نقداً ، وبساتين الزيتون زيتاً ، وأشجار التوت حريراً ،
 وأشجار الرمان طعاماً وعقاقير ^١ . غير ان طريقة الدفع هذه
 لم تتخذ شكلها العادي الا بعد تطور بطيء دام من زمن
 الايوبيين وحكم الفرنكة Franks حتى عهد المماليك ، اذ انه
 لم يكن في البادية من يدفع الايجار نقداً . ولم يستقر
 الدفع على هذه الحال الا حوالى ١٣١٣ ^٢ .

غير ان نظام التسديد هذا بعد ان استقر زمناً
 طويلاً عاد الى عدم الثبات على زمن الفتح العثماني . فلو
 قلبنا صفحات قانون المقاطعات الأميري الذي يعرف « بقانون

ص ١٠٢ ، س ١٣ ، ص ١٠٣ ، س ١ .

١ . نويري ، م ٨ ، ص ٢٥٨ - ٢٦١ . ابن بجي ، ص ١٨١ ، س

٣ - ٤ . بجير ، ص ٦٨٦ - ٦٨٧ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٧٠٢ . Anonym ،

ص ٨١ ، س ٢١ - ٢٣ . صبح ، م ١٣ ، ص ٢٨ - ٣٠ . ظاهري ، ص

١٢٥ ، س ٧ . تقويم ، ص ٢٤٥ ، س ٤ .

٢ . راجع صبح ، م ١٤ ، ص ٤٤ ، س ٩ ، ص ٤٥ ، س ٢ - ٦ ،

ص ٤٦ ، س ٢ - ٤ ، ص ٥٠ ، س ١٣ - ١٦ ، م ٤ ، ص ٢١٦ ، س

٧ ، ص ٢٣٣ ، س ١١ .

نأمة « للقرن السادس عشر ، لوجدنا ان تلك الايجارات عادت الى التغير حسب المقاطعة والناحية التي تقع الأرض المستغلة فيها . ثم انه بعد ضم الاقطاعات العسكرية الى ممتلكات التاج اصبحت الضرائب المفروضة محددة على كل قرية حسب امكانياتها ^١ . ورغم هذا ظل الأسياد محتفظين عملياً « بالمقاسمة » حتى القرن الثامن عشر حيث اصبحتوا يتقاضون نصف الاغلال او ثلثها ضريبة مفروضة على حواصل الأراضي ومتوجاتها ^٢ ، او بدل ايجار وحق استغلالها .

اما في القطر المصري ، فكان الفلاحون يدفعون ، على زمن المالك ، ايجاراً معيناً ثابتاً في السنة يعرف « بالخراج » او « الراتب » ، ثم يدفعون ضريبة علاوة عليه اذا زرعت ارضهم « قصب سكر » . وللإيجار علاقة

١ همر ، م ٢ ، ص ٣٤٤ ، Des Osm. Reichs Staatsverfassung und Staatsverwaltung . م ١ ، ص ١٨٠ - ٣٢٧ . فولني ، م ٢ ، ص ٣٧٣ .
٢ فولني Volney ، م ٢ ، ص ٣٧٤ .

وثيقة بمساحة الأرض المستغلة وخصب تربتها ، يدفع حبوباً في « مصر العليا » ، ومالاً نقداً في « مصر السفلى » . وما كاد فجر عام ١٣٨٤ يبرز للوجود حتى بدأ الناس يشعرون بنقص ظاهر في النقد الفضي الاحتياطي متأًت عن ازدياد الدفع النقدي وتحول قيمة الدرهم المتنقلة ، فارتفعت البلاد من جراء هذا في أزمة مالية اقتصادية ظلت تتخبط فيها حتى عام ١٤٠٨^١ . أما حالة الفلاح ، فكانت السبب الرئيسي في قيام الثورات المتوالية^٢ . ولم يكن الاحتلال العثماني ولا فتوحاته لتحسن من تلك الحالة الضيقة شيئاً ، بل استفحل الأمر إذ ذاك^٣ . وما كادت ثورة « قنصوبك

١ نويري ، م ٨ ، ص ٢٤٩ ، س ٣ - ١١ ، ص ٢٥٣ ، س ١٠ ، ص ٢٥٥ ، س ٦ ، ص ٢٦١ ، س ٥ . صبح ، م ٣ ، ص ٤٥٣ ، س ١٧ ، ص ٤٥٤ ، س ١٣ . نجوم ، م ٦ ، ص ٦٩ ، س ٩ . حوادث ، ص ٦٥٥ ، س ١ - ٨ . ظاهري ، ص ٩٧ ، س ١٧ ، ص ١٠٨ ، س ٥ .
٢ بولباك : « الثورات الشعبية في مصر على عهد المماليك وأسبابها الاقتصادية » (مجلة الدروس الإسلامية عام ١٩٣٤ ، ص ٣٥١ - ٢٧٣) .
٣ ١ . ده كرم (Journal Asiatique) ، السلسلة السادسة م ١١ ، ١٨٦٨) ، ص ٢٦٣ - ٢٦٦ . ابن أبياس ، م ٥ ، ص ٤٤٥ ،

المحمدي» - الذي حاول ارجاع دولة المماليك^١ - تندلع نيرانها عام ١٥٢٣ ، حتى شاهدنا عدداً وفيراً من الفلاحين ينضم اليها استياءً .

غير ان تعديلاً محسوساً طرأ على الجباية بين عامي ١٥٢٥ - ١٥٣٥ حين اوجدت السلطات نظاماً جديداً يعرف بخراج " المال الحر " وهو كناية عن ضريبة معينة مفروضة على كل " قيراط " من قراريط الضيعة قسمت بطريقة ثابتة بين " الميرة " و " الفايط القانوني " . هذا هو المبلغ الوحيد الذي ينص " سند " " الملتزم " عنه ، ولكن الخراج الحقيقي اكثر من هذا بكثير ، اذ انه عملياً كان يزداد على الخراج اعلاه ما ينعته " بالمال المضاف " و " المال البراني " ٢ .

س ١٣ - ١٨ ، ص ٤٥٢ ، س ١٢ - ١٤ ، ص ٤٦٦ ، س ١٦ - ١٨ .
١ رستم ، ص ٦٨ .

٢ همر ، م ٢ ، ص ٤٠ ، ٣٤٣ . الجنرال Reynier : « عن مصر بعد معركة هليوبوليس » (مقتطفة من Journal Asiatique السلسلة الرابعة ، م ١ ، ١٨٤٣ ، ص ١٦٥ - ١٢٨) . Marcel ، ص

اما الخراج و " الميرة " فيدفعان عادة من غلة الشتاء
(ما عدا الأرض المزروعة أرزاً ، و اراضي مصر العليا التي
تدفع ميرتها تقدماً ١) .

وليس الخراج هو الضريبة الوحيدة التي فرضها الأسياد
على عبيدهم ، بل هنالك ضرائب اخرى على عهد المماليك
في سوريا ولبنان وفلسطين :

١ - " ضريبة العشر " المفروضة على الغلة الصامدة

١٩٦ - ١٩٧ ، ٢٠٦ . جبرتي ، م ٣ ، ص ٢٥١ ، س ٣٣ ، ص ٢٦٧ ،
س ١٦ - ١٧ ، م ٤ ، ص ٧٤ ، س ٢٦ ، ص ١٠١ ، س ٣ ، ص ١٢٣ ،
س ٢٢ - ٢٣ ، ص ١٤٢ ، س ١٩ ، ص ٢٠٩ ، س ٣ ، ص ٢٢١ ،
س ٢٨ .

١ Lancet, Mémoire sur le système d'imposition
territoriale (وصف مصر، العهد الحديث ، م ١ ، ص ٢٤٦ ، ٢٥٤) .
جبرتي ، م ١ ، ص ٣١٨ ، س ٢٤ - ٢٨ ، م ٢ ، ص ١٩ ، س ١٢ ،
ص ١٥٣ ، س ١ ، ص ٢ ، ص ١٧٩ ، س ١٩ ، ص ١٨١ ، س ٣٠ ، ص
١٨٢ ، س ٢ ، ص ١٩٣ ، س ١٧ . اوردها المقريري : « عين وغلة »
(خطط ، م ١ ، ص ٨٨ ، س ٢٦ ، ٣٢) ، واوردها جبرتي : « المال
والغلال » ، واوردها ميخائيل (ص ٧٧ ، س ٣) « الفرش والذخائر »
(والذخيرة في مصر معناها الدفع ، اما مالاً او حنطة ، ترسله الدولة للسيد) :

للفلاح بعد " المقاسمة " ١ .

٢ - رسم " الأعياد والخمس " وهو كناية عن هدايا
تدفع نقداً في اوقات معينة من السنة ٢ .

٣ - " ضريبة طواحين الماء " ٣ .

٤ - عدة ضرائب متفرقة حسب الاماكن ٤ .

اما في مصر فكان هنالك ما يشبه تلك الضرائب :

١ - ضريبة الهدايا او « الضيافة » وهي كناية عن
هدايا تقدم في ايام معينة من السنة (ابدلت بضريبة مالية

(جبرتي ، م ١ ، ص ٥٨ ، س ٣ ، ص ٣٤٨ ، س ٢١) .

١ نويري ، م ٨ ، ص ٢٥٩ ، س ٧ - ١٤ . وفي بعض الاحيان كان
يبدل بضريبة معينة ، وفي الاراضي الموقوفة لم يكن يجمع على الاطلاق .

٢ نويري ، م ٨ ، ص ٢٤٥ ، س ١٠ ، ص ٢٤٦ ، س ١ . في
ممتلكات « الخاص » ابدلت بواجب ضيافة جابي الابحارات ثلاثة ايام
(فيما يختص بالقسم والمقاسمة . راجع نويري ، ص ٢٥٨ ، س ١٠ - ١١ .
سخاوي ، م ٨ ، ص ١٠٦ ، س ١٨) .

٣ نويري ، م ٨ ، ص ٢٤٥ ، س ٩ - ١٠ .

٤ صبح ، م ١٣ ، ص ٣٤ ، عامود ١ ، س ٧ - ١٤ ، عامود ٣ ، س

١ - ٧ ، ١٤ - ١٩ (مقاطعة طرابلس) .

في ممتلكات « الخاص » (١) .

٢ - ضريبة السدود والحواجز المائية والترع ومجاري المياه، وهي ضريبة سنوية تفرض لانعاش مشاريع الري واصلاح السدود ومجاري الماء ٢ .

٣ - ضريبة المراعي والحقول غير المزروعة :

أ - ضريبة شخصية على المواشي تدفع سنوياً او شهرياً ٣ .

ب - ضريبة على السمك الملتقط من الحقول ابان فيضان النيل السنوي ٤ .

٤ - ضريبة العرق المستخرج من التمر وهي تبلغ

١ نويري ، م ٨ ، ص ٢٤٥ ، س ١٠ - ١٤ . خطط ، م ١ ، ص ٨٨ ، س ٢٨ ، ٣٤ ، ص ٩٠ ، س ١٦ ، ص ١٠٣ ، س ٢٣ - ٢٤ . ابن اياس ، م ٤ ، ص ٢٠٧ ، س ٣ - ٥ ، م ٥ ، ص ٣٥٠ ، س ١١ . نجوم ، م ٦ ، ص ٤٣٠ ، س ١١ - ١٢ .

٢ صبح ، م ٣ ، ص ٤٤٩ ، س ٤ - ١٩ .

٣ نويري ، م ٨ ، ص ٢٦٢ ، س ٣ - ١١ . صبح ، م ٣ ، ص ٤٥٣ - ٤٥٤ . خطط ، م ١ ، ص ١٠٧ ، س ٣٠ - ٣٤ .
٤ نويري ، م ٨ ، ص ٢٦٣ ، س ٣ ، ص ٢٦٤ ، س ٤ .

عشر المنتوج السنوي ^١ .

٥ - ضريبة البسط ^٢ .

هذه هي الضرائب التي يدفعها العبيد . واليك الآن قائمة وجيزة بالضرائب التي يدفعها سكان الاقطاعات للاسياد دون ان يكونوا من الرعية او من العبيد او من المزارعين الذين يعيشون من حراثة الأرض ، ولكن بمجرد أنهم يسكنون الاقطاعة ، ليس الا :

١ - ضرائب التجارة والصناعة ، وهي تعرف « بالمال

الهلالى » ^٣ او « المكوس » .

٢ - ضريبة شخصية مفروضة على « الجوالى » (اي

غير المسلمين) كانت تتنازل عنها الحكومة للاقطاعيين في بعض الاحيان قبل « الروك الناصري » ، ثم اصبحت تعطيهم

١ نويري ، ص ٢٦١ ، س ٦ .

٢ المرجع نفسه .

٣ صبح ، م ٣ ، ص ٤٧١ ، س ٤ - ٩ (مصر) ، م ١٣ ، ص ٤٠ ،

س ١١ ، (مقاطعة دمشق) . ابن دقياق ، م ٥ ، ص ٢٢ ، س ٢ .

اياها بعد ذلك دائماً ١ .

٣ - واحياناً كان يسمح لبعض الاقطاعيين "المقدمين" بميراث لم ترفع عليه دعوة قانونية من الورثة بعد موت صاحبه ٢ .

وابان العهد العثماني في سوريا وفلسطين كان «الخراج» والضريبة الاضافية يتبدلان حسب المقاطعة والمكان . اما في «ممتلكات التاج» فيترتب على المزارعين دفع الضرائب المذكورة في حجج المقاطعية السوريين كضريبة «العبودية» وضريبة البيوت المعروفة «بمال المنزل» و «الميرة» وضريبة شخصية على كل من لم يعتنق الاسلام، وضريبة «التيجار» و «الوقف» ، يزداد عليها كلها غرامات اضافية يفرضها الحاكم العام عن طريق «المقاطعية» ٣ .

- ١ سلوك ، م ٢ ، ج ١ ، ص ١٣٢ . خطط ، م ١ ، ص ٨٨ ،
س ٣٥ ، ص ٩٠ ، س ٨ - ١١ . صبح ، م ٣ ، ص ٤٦٣ ، س ١ - ٤ .
نويري ، م ٨ ، ص ٢٤١ ، س ٩ - ١٥ .
٢ سلوك ، م ٢ ، ج ١ ، ص ١٣٢ .
٣ رستم ، م ٢ ، ص ٢٤ - ٢٦ . اما زعم فولني Volney (م

وهكذا ضرائب وضرائب وضرائب ... حتى امسى
الفلاح لا يملك ما يسد به عوز عياله، واصبحت الديون
تتراكم عليه من كل صوب وناح، وتعضه الحاجة فيطلب
من اسياده قرضاً من حب "التقاوي" للبذار، او "سلفة"
يقتات بها حتى الحصاد المقبل، فيجيب هؤلاء طلب الفلاح
المسكين فارضين عليه فائدة تتراوح بين ١٠ و ١١ بالمئة
حتى لو كانت تلك الحبوب قد سلفها ايام السلطان
خصيصاً لهذه الغاية ولمساعدة الفلاح^١.

وعلى عهد العثمانيين كان الفلاحون، في مصر والبلاد
التابعة، يستأجرون المواشي للحرثة، والحبوب للزرع،

٢، ص ٣٢٢) ان الضريبة الشخصية كانت تدفع رأساً للخزينة
وانها ضريبة لم تفرض في لبنان، هو كلام مغلوط فيه (راجع
شدياق، ص ١١٠، ص ٧، ص ١١٢، ص ٥).

١ سلوك، م ١، ص ١٤١، رقم ١٤. خطط، م ١، ص ٩١،
س ١٥ - ١٩. نووي، م ٨، ص ٢٥٠، س ١ - ٣، ص ٢٥٢،
س ٥ - ١٢، ص ٢٦٠، س ١، ص ٢٧٨، س ٧ - ١١. ابن
عبد الظاهر، ص ٥٥، س ١٤. حوادث، ص ١١٤، س ٦ - ١٤،
ص ١١٦، س ١٨.

من اسيادهم او من المثرين الميسورين في القرى والمدن ^١ .
وكانت الفائدة المتقاضاة لذلك الدين في القرن الثامن عشر ،
تتراوح بين ١٢ و ٣٠ بالمئة ، ثم ارتفعت الى ٥٠ بالمئة (كل
١٤ شهراً) حوالى عام ١٨٣٠ ^٢ .

وعلى زمن المالك في مصر كان اصحاب الاراضي
التي تجري فيها المياه بلا انقطاع هم الذين يستغلونها بانفسهم .
وكان بإمكانهم الاحتفاظ بمثل هذه الاراضي الخصبية
لأولادهم ووراثهم او التصرف بها كما شاءوا من بيع واهداء ^٣ .
اما الاراضي الصالحة للزراعة (دون ان تكون موضعاً
لا ينقطع عنه الماء) فتستغل بمساهمة المزارعين والفلاحين . ولما
صدر النظام الجديد رأينا " الحمولة " تقسم الى اقسام وكل
جزء من هذه الاجزاء يقسم بدوره بين المزارعين والفلاحين

١ Recueil ، ص ٧ ، رقم ٢٢ . روك ، ص ٧٩ . فولني ،
م ٢ ، ص ١٦٧ ، ٢٣٢ .

٢ فولني ، م ٢ ، ص ٣٧٧ . م ، صبري ، الامبراطورية المصرية
زمن محمد علي ، باريس عام ١٩٣٠ ، ص ٣٥١ .

٣ نويري ، م ٨ ، ص ٢٥٥ ، س ٢ .

حسب عدد مواشيهم وامكانيات عملهم^١ . اذن لا بدع ان رأينا الفلاحين ، الذين ليس لهم من المواشي شيء ، لا يملكون شبراً واحداً من الأرض فينعتون بالفلاحين " البطالين " . فكان السلاطين في " مصر السفلى " (حتى " برقوق ") يرغمون مثل هؤلاء البطالين على شراء الثيران من السلطات كما يستعملوها في اعمال اصلاح سدود المياه^٢ . ومسألة السدود ومجاري الماء كانت تستوجب مراقبة اكيدة . لذا نرى الفلاحين يترتب على كل منهم حراسة مجرى صغير وكلت اليه مراقبته . فأدى الأمر هذا الى ترك القرى المصرية ، فأنحلت حياة القرية واضمحلت شيئاً فشيئاً .

١ راجع Bergheim, Palestine Exploration Fund Quaterly Statements عام ١٨٩٤ ، ص ١٩١ - ١٩٦ . بولياك في Journal of the Royal Asiatic Society عام ١٩٣٧ ، ص ١٠٥ . وعن القرية المصرية في القرن السابع ، راجع ابن عبد الحكم في « فتوح مصر » (Yale Oriental Series, III) ، ص ١٥٣ ، ص ٧ - ١٠ .
٢ منهل ، م ٢ ، فقرة ٧٥ ، ص ١٧ - ١٨ . نجوم ، ٥ ، ص ٦٠٠ ، ص ٥ - ٦ . ابن اياس ، م ١ ، ص ٣١٦ ، ص ١٧ .

اما الأرض المشترك فيها ، على زمن الممالك ، فكانت ،
في الغالب ، تقسم من قبل كتاب الأسياد الى اقسام (او
قبائل - جمع قبالة) تسقى كل منها بماء مجرور خاص ،
ويقبض ايجار كل منها على حدة ^١ . وكانت نتيجة التقطيع
هذا ان قسمت القرى الى « قراريط » اميرية معينة
قامت مقام القرية الواحدة (١٥٢٦) . وبينما كانت حراسة
السدود ملقاة على عاتق الاسياد والاقطاعيين ، على زمن
الممالك ، اصبحت في عهد العثمانيين من واجبات الفلاحين
انفسهم ^٢ . لذلك السبب اضمحلت القرية المصرية بينما
ظلت القرى اللبنانية والسورية والفلسطينية محتفظة بكيانها
ووحدتها حتى القرن التاسع عشر ، اي بعد تلك بقرن .
فما كاد القرن الثامن عشر يبرز للوجود حتى غدا كل فلاح

- ١ نويري ، م ٨ ، ص ٢٤٩ - ٢٥٢ . صبح ، م ٣ ، ص ٤٥٨ ،
ص ٧ - ١٧ . C. I. A. ، م ١ ، ص ٣٥٨ ، رقم ١٤ .
٢ ظاهري ، ص ١٢٩ . صبح ، م ٣ ، ص ٤٤٩ . خطط ، م ١ ،
ص ١٠١ . جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٩٣ ، س ٦ .

يضرب الحدود بينه وبين جيرانه فيستقل مسؤولاً وحده عن الأرض التي يحرق . ولم يشذ عن القاعدة الا بعض المقاطعات في مصر العليا حيث ظل نظام الاقسام السنوي سائراً ، ولكن كل عضو من المجتمع كان له اذ ذاك حصة معينة مختصة به ^١ .

وطريقة التقسيم هذه ادت بطبيعة الحال الى ازدياد في التفاوت بين الفلاحين من الناحية الاقتصادية : فبينما كان « المشايخ » في القرى معفيين من « الميرة » ، يؤجرون في الغالب « الرزق الاحباسية » ويستولون على جميع الاراضي المجاورة التي لم يعرف اصحابها بالضبط ، اي بينما كانوا يملكون ارضاً تتجاوز مساحتها الف فدان ^٢ ، كان غيرهم من الفلاحين المزارعين لا يملك شبراً واحداً فيشتغل كفاعل زراعي مأجور ليكسب قوته ^٣ ، كل هذا لأنه لم يدفع

١ Reynier, loc. cit.

٢ جبرتي ، م ١ ص ١٨٠ ، س ٢٦ ، م ٤ ، ص ٦١ ، س ١٣ -
١٥ ، ص ١٢٣ ، س ٣٢ ، ص ٢٠٩ ، س ٢٧ ، ص ٢١٠ ، س ٢٣ .
٣ جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٧٤ ، س ١٠ - ٢٨ ، ص ٢٩٣ ، س ٩ -

« للملتزم » إيجار ارضه في الموعد المضروب .

اما المالك الاقطاعيون فكانوا يزورون اقطاعاتهم تفقداً
ويمكثون فيها ولو وقتاً قصيراً^١ . وفي بعض الأحيان
يعين الأمير مملوكاً من اتباعه يدير اقطاعه^٢ او قرية
واحدة منها^٣ ويعرف « بالمتحدث » ، وأحياناً يرسل من
قبله « قاصداً » لجمع « الخراج » او لاقتراح جديد وهدف
آخر^٤ . ولكن الامراء لم ينسجوا على هذا المنوال في

١٠ ، Ryme ، ص ٢٧ .

١ ابن اياس ، م ١ ، ص ٢٤٤ ، س ٦ ، م ٢ ، ص ٢٨٨ ، س ٤ ،
ص ٢٨٩ ، س ١ ، م ٤ ، ص ١٠٤ ، س ١٧ - ١٨ ، ص ١٢٥ ، س
٦ - ٨ ، ص ٤٢٩ ، س ١٩ - ٢١ . حوادث ، ص ١٠٥ ، س ٣ -
١٠ ، ص ٤٥٩ ، س ١٢ . منهل ، م ١ ، فقرة ١٠٦ ، م ٢ ، فقرة ١٠٦ ،
١١٤ ، ١٧٥ ، م ٣ ، فقرة ١٠٦ ، م ٤ ، فقرة ٨٧ . سلوك ، م ١ ، ج
٢ ، ص ٢٧ ، ص ١٥١ . ابن عبد الظاهر ، ص ٢٩ ، س ١٣ .
سخاوي ، م ٢ ، ص ٢٧٥ ، س ١٠ .

٢ منهل ، م ١ ، فقرة ٢٠٥ ، س ١٢ ، م ٣ ، فقرة ١٧٠ ، س ٦ .
٣ وامسى معروفاً بـ « شاذ » : سخاوي ، م ٥ ، ص ٢٦٦ ، س ١٠ .
ابن اياس ، م ٤ ، ص ٢٧١ ، س ١٧ - ١٩ ، م ٥ ، ص ٣٧٨ ، س ٨ - ١٠ .
٤ نجوم ، م ٦ ، ص ٦٥٢ ، س ١ ، ص ٨٣٠ ، س ١٩ . حوادث ،

لبنان وسوريا وفلسطين نظراً لمبدأ المقاسمة الذي ما زال
كائناً في هذه البلدان . فكان السيد ، او من ينوب
عنه ، يجد نفسه مضطراً للاشراف على الاعمال الزراعية
من البدء حتى النهاية ^١ . اما في مصر فاهم الأشياء التي كانت
تستدعي وجوده هو " تخضير البلاد " . و " تخضير
البلاد " ^٢ معناه فرش السماد في الأراضي المزروعة بغية
ازدهار الموسم وازدياد الغلة وبالتالي ارتفاع اخراج
المفروض ^٣ . لذا كان يشرف عادة بنفسه على " التخضير " .
وبعد التخضير تقدر غلة الأرض على حساب " الفدان "

ص ٣٥٥ ، س ٣ ، ص ٦٥٤ ، س ٨ . ابن اياس ، م ٥ ، ص ٨٠ ، س
٥ ، ص ١٣٠ ، س ٢٠ .

١ . نويري ، م ٨ ، ص ٢٥٧ ، س ٤ - ٥ ، ص ٢٥٨ ، س ٣ - ١٠ .

٢ . صبح ، م ٦ ، ص ٢٨٨ ، س ١٥ - ١٦ ، م ٧ ، ص ١٥٨ ، س

٨ - ١٠ . نويري ، م ٨ ، ص ٢٤٨ ، س ١١ - ١٢ ، ص ٢٤٩ ، س

١١ ، ص ٢٥٠ ، س ١ ، ص ٢٥٠ ، س ٩ . حوادث ، ص ١٣٥ ، س

٥ . جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٩٣ ، س ٨ .

٣ . صبح ، م ٣ ، ص ٤٥٠ - ٤٥٤ . خطوط ، م ١ ، ص

١٠٠ ، س ٢٨ .

الواحد شرط ان لا يكون معدل الأرض المزروعة اقل
من الأرض التي زرعت في العام الأسبق .

اما اذا كان هنالك تغيير طارئ على مساحة تلك
الأرض من جراء فيضان النيل السنوي فيلجأ عمال الامراء
الاقطاعيين الى اجراء تقديره وزيادته على حساب ارض
السنة الفائتة ١ . وعلى الفلاح ان يدفع المال المقرض الى
عمال سيده عن غير طريق جمعية القرية التي يقطنها ٢ .
ولكل سيد حق شرعي باستغلال اقطاعه حسبما اراد ٣
وكيفما شاء (ولكن الطابع الموقت ، للأرض المتصرف بها ،
بجرمه في اغلب الأوقات من ادعاء استملاكها حقاً ملكاً
له لا يناقضه فيه منازع) .

- ١ نويري ، م ٨ ، ص ٢٤٩ ، س ١٢ ، ص ٢٥٢ ، س ٣ . صبح ،
م ٣ ، ص ٤٥٨ ، س ٧ - ١٧ .
٢ حوادث ، ص ٦٥٤ ، س ٤ - ٢٢ . نجوم ، م ٦ ، ص ٣٩٩ ،
س ١٤ - ٢٠ .
٣ خطط ، م ٢ ، ص ٢١٧ ، س ٣١ . صبح ، م ٤ ، ص ٥٠ ،
س ٨ . ضوء الصبح ، م ١ ، ص ٢٥٨ ، س ٧ .

ولم يشذ عن هذه القاعدة في حرية الزرع والاستغلال
الا الأراضي التي يزرع فيها قصب السكر (وذلك نظراً
لسرعة نموه) والأراضي المعدة لتكاثر المواشي (اذ ان طعام
المالك الرئيسي كان اللحوم والألبان) ١ .

ففي عهد " الالتزام " كان قسم من الممتلكات في الدولة
قد خصص " للوصاية " (جمعها وصايا واوصية) ٢ والوصاية
كناية عن ارض مملوكة ٣ يعهد صاحبها الى عبيده بجرائها ٤ .

١ صبح ، م ١٣ ، ص ٣٤ ، ع ١ ، س ٧ - ٤ . ابن اياس ، م
١ ، ص ١٥٦ ، س ٢٠ ، ص ١٩٨ ، س ١١ . منهل ، م ٢ ، فقرة ٢٥ ،
م ٣ ، فقرة ٣٦ . العباسي : آثار الاول ، ص ١٤٠ .

٢ جبرتي ، م ١ ، ص ٥١ ، س ٢٨ ، ص ١٨٤ ، س ٩ ، ١٣ ، م
٤ ، ص ٩٣ ، س ١٩ ، ٣٠ ، ص ٩٥ ، س ٢٢ ، ص ٩٦ ، س ٥ ، ص
٩٧ ، س ٣ ، ٤ ، ١٧ ، ٢٣ - ٢٦ ، ص ٢٠٧ ، س ١٠ ، ص ٢٢٨ ،
س ٢٥ .

٣ جبرتي ، م ١ ، ص ٣١٣ ، س ٢٧ - ٢٨ ، ص ٣٤٧ ، س ٣٠
- ٢٢ ، م ٢ ، ص ١٥١ ، س ٣ - ٥ ، م ٣ ، ص ١٧٣ ، س ١٥ -
١٩ ، ص ١٧٥ ، س ٢٠ - ٢٧ ، ص ١٧٦ ، س ١ - ٤ .

٤ جبرتي ، م ٣ ، ص ١٧٣ ، س ٧ - ٨ ، م ٤ ، ص ٢٠٧ ، س
١٧ - ٢٠ .

أما الأراضي التي كانت باستلام المزارعين فكانت تعرف إذ
ذاك " بطين الفلاح " ^١ . وعلاوة على « المزارعين » ^٢
كان يوجد في مصر « شركاء » . والشركاء هم جماعة من
الفلاحين يزرعون أرض سيادهم الاقطاعيين مقابل حصة
يأفلونها من الغلة السنوية دون أن يكون لهم حق التصرف
والبقاء في تلك الأرض رغم إرادة السيد . فإذا حدث ما
أغضبه عليهم ، أمر بكف يدهم ^٣ في الحال وأرغمهم على ترك
الأرض المذكورة . غير أنه في سوريا وفلسطين لم يكن ملاكاً
إلا من كان زعيماً قبلياً . أما في لبنان فكانت الأرض تعد
ملكاً لكل المزارعين الأسياد وكانت قوانين الاستغلال

- ١ جبرتي ، م ٤ ، ص ٨١ ، س ٢٧ ، ص ٢٠٩ ، س ٣ - ٤ .
A. J. ، السلسلة السادسة ، م ١١ ، عام ١٨٦٨ ، ص ٢٦٥ .
- ٢ جبرتي ، م ١ ، ص ٣٤٥ ، س ٢ - ٣ ، م ٤ ، ص ٦٠ ، س
١٥ ، ص ١٥٤ ، س ٢ ، ١٨ ، ٢٢ ، ص ٢٠٨ ، س ٢٥ .
- ٣ جبرتي ، ص ٣٤٤ ، س ٢٩ ، ص ٣٤٩ ، س ١٣ (راجع عن
سوريا : P. E. F. Q. S. ، عام ١٨٩١ ، ص ١٠٥) في م ٤ ، ص ١١٢ ،
س ٢ ، وفي ص ١٩١ ، س ٢٩ . هذه العبارة لها المعنى نفسه الذي ورد
في مصادر المماليك : « الأسياد الذين يملكون قسماً من نفس القرية » .

تطبق على طريقة المشاركة و « الشركاء »^١ ، زد عليه انه في ما يختص بالماليك الاقطاعيين كان السلطان يشترط عليهم ان لا تكون الأرض المزروعة في اقطاعهم اقل مساحة في آخر سلطنته مما كانت عليه في بدء عهده . لذا فانهم كانوا يتلقون فيه التعليمات البينة فيما يختص بهذا الواقع^٢ .

وشأن الاقطاعية في اوروبا^٣ هكذا كانت حكومة الممالك الرئيسية في مصر تفرض الضرائب على عبيد اتباعها . وكثيراً ما تجلت تلك الضرائب بقالب غير عادي . اما موقف الأسياد التابع فكان موقف امتعاض واستياء مرير اذ ان هذه الضرائب كانت تنقص من مدخولهم السنوي

١ بنو الحازن وبنو ارسلان كانوا يعرفون « بامراء الزيتون » (Mariti ، ص ١٥ . ميخائيل ، ص ١٠٩ ، س ١٣) .

٢ ابن اياس ، م ٤ ، ص ١٠٤ ، س ١٧ - ١٨ . حوادث ، ص ١٠٥ ، س ٣ - ١٠ .

٣ السر بول فينو غرادوف : الاقطاعية (تاريخ كامبردج ، الجزء ٣) . ص ٤١٩ .

فتمس مصالحهم الشخصية في الصميم^١ . ولم تتبدل الحال
قط على عهد العثمانيين . وبين رجال « الملتزم » الرسميين لا
بد لنا ان نذكر ممثله الذي يطلق عليه نعت « القائمقام »
ولقب « كاشف الناحية » اذا عين في قرية يملكها سيد
اقطاعي واحد . كما انه لا بد لنا ان نمر على ذكر « المعينون »
وهم موفدو الاقطاعي الشخصيين ، و « الصيرفي » او
« الصراف » وهو الممثل الذي يشرف على جمع الاغلال ،
و « الغفير » الحارس للمنطقة ، و « المشد » الذي ربما كان
ينظر تطور الاشغال الزراعية وطريقة العمل^٢ .

١ ابن اياس ، م ٢ ، ص ٢٥٢ ، ٢٦٢ ، ٣٠٢ ، م ٤ ، ص
٤٩ ، ١٥٣ ، ٢٢٨ ، ٢٩١ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ . قدوم الكشف (م ٤ ،
ص ٢٦٢) = ضريبة لحكام الناحية . شياخة (م ٤ ، ص ٢٦٢ ،
٢٦٣ ، ٣٩٠) = ضريبة مفروضة من السلطة على زعماء القبائل
الجاورة ، ص ٣١٩ ، ٣٥٤ ، ٤٢٨) .

٢ جبرتي ، م ١ ، ص ١٨٠ ، ١٨١ ، ٣٠٥ . م ٤ ، ص ١٠٩ ،
٢٠٧ - ٢٠٨ ، ٢٩٣ .

نهاية الاقطاعية

على اثر غزوة الجيوش الفرنسية لمصر عام ١٧٩٨ انتهى حكم المماليك في مصر السفلى . وبعد رجوع العثمانيين عام ١٨٠١ احتل اجراءؤهم الألبان مصر السفلى بقيادة محمد علي الذي اصبحت في عام ١٨٠٥ حاكماً عاماً على مصر^١ والذي خلق بعد عام ١٨١٣ جيشاً نظامياً جديداً (النظام الجديد) . وقد اصبحت هذا الجيش فيما بعد مؤلفاً من جنود فتيان حديثي العهد بالجنسية . اما الافواج السبعة اي الافواج العسكرية القديمة فقد تركت لها امتيازاتها فيما يتعلق بالرواتب^٢

١ نشرت الاوامر الاولى في ٢٥ شعبان عام ١٢٣٠ هـ . (جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٢٢) . وبعد عامين اخذت اجراءات اخرى اشد عنفاً .
٢ في عام ١٨٠١ خفضت الجامعة الى ثلثها وابدلت غلال الانبار بمنحة مادية (جبرتي ، م ٣ ، ص ٢١٣ ، ص ٣ - ١٣) .

وبالاشتراك في الديوان . ولقد انتخب ممثلو هذه الأفواج بالاشتراك مع المشايخ الروحانيين محمد علي حاكماً عاماً أعلى ١ .
بيد أنه في عام ١٨١٤ خسرت هذه الأفواج امتيازاتها الوراثية مما أدى إلى اختفاء أثرها تدريجياً بعد موت أعضائها ٢ . وفي مصر العليا ظل المماليك أسياداً مطاعين ، وتوصل أمراءهم بمؤازرة الجيوش الألبانية في عام ١٨٠٣ لاستلام زمام الحكم في القاهرة لشهور عديدة .

وفي عام ١٨٠٧ انشق على المماليك أحد قوادهم شاهين بك الألفي ، فكافأه محمد علي بأعطائه التزاماً كبيراً شاسعاً مؤلفاً من ضاحية الفيوم وثلاثين قرية في ضاحية « البهنسا » وعشر قرى في ضاحية الجيزة ٣ . وفي عام ١٨١١ غزا محمد علي جيوش المماليك فدحرمهم وشردهم فيالقهم وأعدم

١ جبرتي ، م ٣ ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .

٢ جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٥٦ ، ص ٢٧ - ٢٨ .

٣ جبرتي ، م ٤ ، ص ٧٣ ، ص ٧ - ١١ ، ص ١١٣ ، ص ٧ - ٨ ،

ص ١١٦ ، ص ٢٦ - ٢٩ .

شاهين بك الآلاني وجنوده السواري كما أنه دحر " امراء الجنوب " وماليكهم حتى السودان حيث أصبحوا هنالك اصحاب زراعة الذرة البيضاء ^١ . وعام ١٨١٦ عفى عنهم تدريجياً وسمح لهم بالعودة الى مصر ، فعادوا جماعات تلو اخرى وسمح لهم بالتوظيف والنفقات . اما استلام الاراضي ^٢ فبقي عليهم محظوراً .

وبين عام ١٨٣٣ - ١٨٣٥ حل محمد علي الجيوش العسكرية الاقطاعية في سوريا وفلسطين ولبنان وذلك بتجريده السكان من السلاح بالقوة دون تمييز بين الاشراف والاعيان وسواهم ، وادخل نظام التجنيد العسكري ^٣ .

١ جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٦٤ ، س ٥ .

٢ جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ ، ٣١٠ ، ٣١٧ - ٣١٨ .

٣ شدياق ، ص ٥٨٢ - ٥٨٤ . ميخائيل ، ص ٥٥ ، س ١٨ .

في عام ١٨٣٥ تألفت في لبنان مليشيا مسيحية واصبحت في الحال قوة سياسية تفوق قوة الاشراف المجردين من السلاح (شدياق ، ص ٥٨٥) . وفي عام ١٨٤٠ ثارت هذه المليشيا على الامير (ص ٥٨٩ ، س ٦) واعلنت برنابجاً سياسياً ديمقراطياً (ص ٥٩١ ، س ١٨ - ٢١) . وبعد عام ١٨٤٢ تسربت الى كل قرية تحمل اتجاهاً

ولعشرات الايام ظل الملزمون يستخدمون المرتزقة لجمع الضرائب. غير ان الجيوش النظامية كانت اوفر عدداً واحسن عدة ، كما ان هؤلاء المرتزقة اصبحوا جزءاً من القوات الحكومية ، وقد وضعتهم الحكومة تحت تصرف المزارعين بصورة مؤقتة ١ .

ولم يكن القضاء على الجيوش العسكرية الاقطاعية سوى مقدمة لحل النظام الاقطاعي فيما يتعلق بالاراضي . وهنا نشب خلاف في الرأي بين المسؤولين الفرنسيين في

حرباً على الدروز ولها في كل قرية ممثل (شيخ الشباب) من غير ابناء الزعامة الموروثة (ص ٧٠١ ، س ٨ - ٩) .

١ بعد عام ١٧٧٨ اصبح المرتزقة السوريون والفلسطينيون يعرفون بـ « الموارة » (تشبهاً بقبائل البدو المصرية) وليس من الضروري ان يكونوا من المصريين (P. E. F. Q. S. ، عام ١٩٠٦ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ، Finn . ٢٨٨ ، م ١ ، ص ١٦٦ - ١٧١ . ميخائيل ، ص ٤٦ ، ٧٨ . شدياق ، ص ٥٨٨) . ومن القاجار السابقة دولات (مفردها دالي) ولاوند (Volney) ، م ٢ ، ص ١٣٢ - ١٣٣) . وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر كان لها لقب سكيان او سكيان اي القناصة (Hammer) ، م ٢ ، ص ٧٠٦ .

مصر عما اذا كانت " الالتزامات " تعتبر ممتلكات إقطاعية
كتلك التي ألغيت في فرنسا أثناء الثورة (ولقد أوضح هذه
النظرية مؤخراً الجنرال Reynier في كتابه :

« De l'Egypte après la bataille d'Héliopolis »)

او انها تعتبر ممتلكات عشرية خاصة لواضي اليد الذين
حدد الاستبداد العثماني^١ حق ملكيتهم فيما بعد . وبعد
جدال تغلبت النظرية الثانية وأخذ بها باعتبار انها تكفل
السلم الداخلي في البلاد وتدعم النظام الجديد المتعلق بالشيوخ
الروحيين أكثر من النظرية الاولى ولأن الإصلاحات
الاساسية كانت معرضة لتضع تصدير القمح الى فرنسا

شدياق ، ص ١٣١ - ١٣٣ ، فقرة ٢٥٦) .

١ قبل ساسي Sacy بهذه النظرية فيما بعد .

« Sur la nature et sur les révolutions du droit de la
propriété territoriale en Egypte » (Mémoire de l'Institut de France, 1818 - 1823) .

واعترض عليها Worms في Journal Asiatique ١٨٤٢ - ١٨٤٤ .

واستطاع نابليون ان يجدها في Volney (م ١ ، ص ١٧٢)
ويستعملها في نشراته .

ونمو مزروعات المنطقة الاستوائية في حالة خطرة . وعليه
اصبح الملزمون متساويين مع اصحاب الممتلكات العشرية
الخاصة واستلم كل ملزم بعد التثبت من حقه الشرعي
حجة شرعية تعلم بانه المالك الشرعي لأراضيه وممتلكاته ٢ .
اما املاك الممالك في مصر السفلى والأراضي التي لم
يتمكن واضعو اليد عليها من اثبات حقوقهم فيها فاصبحت
كلها اراض وطنية ٣ .

غير ان الآمال المعقودة على سياسة تقسيم الأراضي

١ وهذه التدابير كانت الاسباب الاقتصادية الرئيسية للحملة
العسكرية الفرنسية . جبرتي ، م ٣ ، ص ٤ ، س ٢٦ ، ص ١٦٩ ،
س ٢١ - ٢٥ . Marcel ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ . ريم Ryme ، ص
٩ ، ١٠ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٨٥ ، ٨٦ .

٢ P. G. Elgood مغامرات نابليون في مصر ، او كسفورد ، عام
١٩٣١ ، م ١٣ . جبرتي ، م ٣ ، ص ١٦ ، س ١٩ - ٢١ ، ص ٢٠ ،
س ٢ - ١٢ ، ص ٢٣ ، س ٣٠ - ٣٣ .

٣ التاريخ العلمي والعسكري للحملة الافرنسية في مصر ، م
٤ ، ص ٩٢ . جبرتي ، م ٣ ، ص ٥ ، س ٢٢ - ٢٤ ، ص ٢٠ ، س ٧
- ٩ ، ص ١٤٠ ، س ٢٤ (اطيان الجمهور) ، ص ١٥٤ ، س ١٣ .
(املاك الجمهور) .

بين الناس سرعان ما فشلت وذلك أولاً بسبب الحصار البحري الذي منع أية تجارة مع فرنسا ، ثانياً بسبب ثورة الفلاحين التي أرغمت السلطات الفرنسية ان تدافع عن نظام الالتزام بقوة السلاح ^١ . وفي عام ١٨٠٠ - ١٨٠١ تظاهر القائد الأعلى مينو Menou بتحزبه للسياسة المعاكسة وكان هدفه في ذلك توسيع مدى الممتلكات الوطنية وضمها تدريجياً الى الالتزامات ^٢ .

اما العثمانيون فانهم بعد تردد وحيرة ^٣ احتفظوا بنظام الالتزام السابق ولفوا نظام الاملاك الوطنية ، كما وضعوا

١ جبرتي ، م ٣ ، ص ٣٠ ، ص ٢٣ ، ص ٣١ ، ص ٢٩ - ٣٠ .
ريم Ryme ، ص ٧٣ .

٢ جبرتي ، م ٣ ، ص ١٣٩ ، ص ٣٠ ، ص ١٤١ ، ص ٨ ، ص ١٧٩ ، ص ٢٠ - ٢٢ . كان مدخول الاراضي الوطنية عام ١٨٠٠ ثلاثة اضعاف ما كان عليه عام ١٧٩٩ ، بينما مجموع مداخيل الدولة نقص باقل من الثلث (عمر طوسون ، ص ٣٦ - ٣٧) .

٣ جبرتي ، م ٣ ، ص ١٩٠ ، ص ١٧ - ١٨ ، ص ١٩٣ ، ص ٢٥ - ٢٦ ، ص ١٩٤ ، ص ٤ - ٧ ، ص ١٩٥ ، ص ٢ - ٤ ، ص ١٩٦ ، ص ٢٧ - ٣٢ ، ص ١٩٨ ، ص ٦ ، ص ٢٠٢ ، ص ٢٩ .

حداً نهائياً للبند المعروف بـ " خزائن بندا " للاراضي ^١ . بيد
ان الزيادة التي فرضها المسئولون على الفلاحين ^٢ ، والضرائب
المباشرة التي اضافوها ، وجمعهم النصف عن ضريبة الميري
لستين قبل الوقت المعين ^٣ ، وقبضهم جزءاً من الفائدة
السنوية (منذ ١٨٠٥) لدفع مصاريف الجيش والادارة ^٤ —
كل هذه الاسباب كانت عاملاً لجعل هذا النظام التقليدي
عسير التطبيق .

وفي عام ١٨١١ صودرت كل التزامات المالك
والالتزامات الاخرى التي كانت من قبل في حوزة امراء

١ جبرتي ، م ٣ ، ص ٩٤ ، س ٩ — ٢٠ .

٢ جبرتي ، م ٣ ، س ٢٣٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٩ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٣ ،
٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٩ ، ٣٣٨ ، ٣٤٣ — ٣٤٤ ، م ٤ ، ص ٧ ، ٨ ، ١٤ ،
١٨ ، ٦٦ ، ٨٨ — ٨٩ الخ .

٣ جبرتي ، م ٢ ، ص ١٧٩ ، س ٤ ، م ٣ . ص ١٩٤ ، س ٨ —
١١ ، ص ٢٣٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩٦ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٤٧ ، م ٤ ، ص
٢٠ ، ٦٩ .

٤ جبرتي ، م ٣ ، ص ٣٤٥ ، س ٢٤ — ٢٧ ، م ٤ ، ص ١٠ ، ١٤ ،
٦٠ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ .

القطاع الجنوبي واعتبرت خسائر حربية او « المضبوط »^١ .
وفي عام ١٨١٣ يوم حارب المرتزقة^٢ الوهايين في
شبه جزيرة العرب ، صدر مرسوم بمصادرة الالتزامات
جمعاء وعوض على واضعي اليد بمرتب يوازي الفائدة السنوية
السابقة (الفايز^٣) وهذا المرتب كان لمدى الحياة . ولقد
أصلح هذا المرسوم بعد عودة جيوش المرتزقة كما يلي :
« يحق لمن شاء من الملتزمين استرجاع التزامه بدلاً من
المرتب المذكور آنفاً . » غير ان حجم الالتزام تضائل

- ١ جبرتي ، م ٤ ، ص ١٥٣ ، س ٢٧ ، ص ١٥٤ ، س ١٤ ، ص ١٨٣ ، س ٢٧ - ٢٩ .
٢ كثيرون من المرتزقة الالبان كانوا اذ ذاك ملتزمين .
جبرتي ، م ٣ ، ص ٣٤٧ ، س ٣ - ٧ ، م ٤ ، ص ١١ ، س ١٧ ، ص ٢٢٩ ، س ٤ - ٥ .
٣ جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٠٣ ، س ٣٠ ، ص ٢٠٤ ، س ١٨ ، ص ٢٠٧ ، س ٨ - ١٣ ، ص ٢٢٢ ، س ٦ - ٨ . تلك الالتزامات الكائنة
في مصر العليا والتي لم تدخل في ثورة امراء الجنوب حصلت
ايضاً على تعويض مشابه في عام ١٨١١ . ص ١٥٤ ، س ١١ .
وقد سبق لمحمد علي بان حل بالطريقة نفسها مشاكل الملتزمين المعقدة .
ص ١٠٩ ، س ٣٠ - ٣١ .

بسبب تعديل وتنقيص مساحة الفدان الارضي في تلك السنة . اما الميري فلم يطرأ عليها تبديل ماء ، وبقي للملتزم الحق بجمع " المال الحر " فقط ^١ .

وفي الوقت نفسه انفى محمد علي الرزق الجيشية ^٢ واصبحت مصر بمثابة التزام واحد كبير يتولى امر زراعته

١ جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٢٨ ، س ٤ ، ص ٢٢٩ ، س ٨ ، ص ٢٥٦ ، س ٢٧ - ٢٨ .

٢ في عام ١٨٠١ وضعت عليها لأول مرة ضريبة صغيرة منظمة « مال الحماية » (جبرتي ، م ٤ ، ص ٩٤ ، س ٣٠ - ٣٣) . وفي عام ١٨٠٩ جرب محمد علي فرض الميرة على هذه الاراضي في البحيرة (ص ٩٣ ، س ١٧ - ٢٦ ، ص ٩٥ ، س ٦ ، ٢٢ ، ص ٩٦ ، س ٥ ، ص ٩٧ ، س ٣ - ٤ ، ١٧) . وفي عام ١٨١١ اصبح هو المتدرك المطلق للصلاحيات في مصر العليا وفرض عليها ضريبة ميري خفيفة ، وصغر حدودها قليلاً (ص ١٤١ ، س ٣١ ، ص ١٤٢ ، س ٤ ، ص ١٥٣ ، س ٢٩ ، ص ١٥٤ ، س ٢ ، ص ١٨٣ ، س ٣٠ ، ص ١٨٤ ، س ٢٥) . وعام ١٨١٣ جرى تخفيض اضافي على كل مصر (ص ٢٠٨ ، س ٢٣ - ٢٥ ، ص ٢٠٩ ، س ٤) . وبعد ذلك اوقف محمد علي الباقي بعد موت اصحاب العلاقة . وبعد الفتح العثماني لسوريا وفلسطين ابطال حكم اعتبارها كراض من صنف خاص واصبحت نواة لما يعرف بـ « وقف غير صحيح » . وهي اراض تدفع الجزية

الحاكم العام ^١ . اما الأراضي العشرية الخاصة والأوقاف التي يديرها الحاكم العام والأراضي الاوسية التي احتفظ بها الملتزمون السابقون ^٢ ، فخضعت لنظام خاص بها . واصبحت وضعية واضعي اليد على غير هذه الأراضي تشبه وضعية واضعي اليد على « طين الفلاحة » في نظام الالتزام ، اي انهم اصبحوا ذوي حق بيع الأراضي وشراؤها ولأسيادهم الحق عليهم بفرض نوع الغلال المتوجبة زراعتها ، وبحق بيع حاصل هذه

وتستولي الدولة على مداخلها وتنفقها على مشاريع البر (من هذه الأراضي تتألف اليوم املاك الاوقاف) . وطالما حدث الضرورة لدفع مصارفات الجيش التي كانت سبباً لالغاء الرزق الجيشية في مصر بسلاطين الممالك لبلغوا الاوقاف ويقسموها اقطاعات عسكرية ، لكنهم رضوا ، تحت ضغط رجال الدين ، بحجز مداخل الاوقاف بصورة مؤقتة . ابن اياس ، م ١ ، ص ٢٦٧ ، ٣٣٠ ، م ٢ ، ص ٩٧ ، ٢٥٧ ، ٢٦٨ - ٢٦٩ ، م ٤ ، ص ١٤ - ١٥ ، ١٨ ، م ٥ ، ص ١٢٤ ، ١٧٣ . نجوم ، م ٦ ، ص ٤٧ ، ٦٩ . حوادث ، ص ٦٣٦ .

١ جبرتي (م ٤ ، ص ٢٤٢ ، س ١) يلقبه بـ « حاكم مصر وصاحبها واقطاعها » .

٢ جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٠٧ ، س ١٠ - ١١ ، ص ٢٢٨ ، س

٢٤ - ٢٨ .

الغلال كما ان للاسياد الحق بتجريد المتأخرين عن دفع
الخراج من اراضيهم . ومهما يكن فسلالة محمد علي بدلت
من خطته القائمة على المراقبة الصارمة والاحتكار . ولهذا
اصبحنا نجد كثيراً من الأراضي تباع لغير الملتزمين ، اي للذين
لم ينتسبوا يوماً الى صف الملتزمين في عهد الاقطاعية . اما
ضريبة الأراضي الخراج فقد اضحت شبيهة بضريبة الأراضي
العشرية الخاصة ^١ التي لم تخضع لنظام الاقطاع قبلاً . فستأجرو
اراضي الخديوي ^٢ مثلاً اصبحوا تدريجياً ممتلكين فيها .
وفي عام ١٨٧٩ فصلت موازنة الخديوي الخاصة عن
موازنة الدولة ، وذلك اثر انشاء مصلحة الجدول المدني . وفي
عام ١٩١٤ بعد الغاء الجزية السلطانية العثمانية أسدل الستار
على آخر اثر شرعي لنظام الاقطاع في مصر .
اما في سوريا وفلسطين فقد الغى محمد علي نظام

١ كرومر ، ص ٢٣ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ١٣٢ .

٢ جبرتي ، م ٤ ، ص ٢٠٧ ، س ١٣ : « فلاحو الباشا » ، اي
« عبيد الباشا » .

الاستئجار وزراعة الأراضي السلطانية في عام ١٨٣٨^١ .
وفي العام التالي حذا السلطان حذوه ، واعلن ذلك في
كل أنحاء سلطنته . فاسترجع الأسياد القدماء اراضيهم التي
حرثها عمالهم و « شركاؤهم » ، اما الأراضي التي زرعها السكان
المقيمون الدائمون فغدت باستلام ابناء القرى الذين استلموها
مباشرة من الدولة .

وحلت ضريبة الاعشار تدريجياً^٢ محل الميري واصبح
مزارع القرية يدفع هذه الضريبة الجديدة سنوياً . اما متزعم
القرية وسيدها في عهد الاقطاع فظل بالواقع على ما كان
عليه من نفوذ سابق رغمًا من انه لم تبق له اية سلطة

١ رستم ، م ٣ ، ٤ ، ص ٧٦ - ٧٩ (لاسيا ، ص ٧٨ ، س ٦) .

٢ وفي اثناء فترة الانتقال كان على الفلاحين ان يدفعوا الضريبتين

معاً . في عام ١٨٩٤ كانت الميري ضريبة نقدية من ٣ - ٥ بالمئة

من ثمن الاراضي يدفعها ملتزم القرية الى الخزينة مباشرة . واما

ضريبة الاعشار فكانت تجمع حسب النوع ، وجامعو الضرائب

كانوا يجمعون بالواقع ٣٣ بالمئة من الغلال بدلاً من ١٠ بالمئة .

برغهام Bergheim في P. E. F. Q. S. عام ١٨٩٤ ، ص ١٩٧ - ١٩٨ .

شرعية على القرية الا اثناء جمع الضريبة ^١ .
وفي جبل الدروز ظل آل الاطرش اسياد الاراضي
كلها حتى ثورة الفلاحين عام ١٨٨٦ - ١٨٨٧ حيث اصبح
لكل رئيس محلي في كل قرية حصص تتراوح بين ربع
اراضي القرية وثمانها ، واما القسم الباقي فلك للفلاحين ^٢ .
ولما اجريت عملية تطويب الاراضي البائدة عام ١٨٦٠
والمستمرة حتى اوائل القرن العشرين ، قسمت الاراضي
العامة الى ممتلكات خاصة واصبح لواضي اليد الحق بيعها
لابناء المدن او ابناء القرى الاخرى . وفي الواقع فان كثيراً
من القرى بقيت متلبسة بصنفعة وضع اليد وسجلت
اراضيها تسجيلاً وهمياً على اسم اربعة او خمسة اشخاص
بارزين ^٣ فيها . اما الاراضي غير المزروعة فقد ابتاعها من

١ Finn ، م ١ ، ص ٢٢٨ - ٢٣٥ ، ٣٠٥ - ٣٠٧ ، ٣١٦ .

٢ بوروف ، ص ٢١٤ - ٢١٥ ، ٣٣٣ - ٣٣٤ . تونبي

A. J. Toynbee ، في العالم الاسلام منذ استقرار السلام ، او كسفورد
عام ١٩٢٧ ، ص ٤٠٨ .

٣ P. E. F. Q. S. ، عام ١٨٩١ ، ص ١٠٥ ، عام ١٨٩٤ ، ص

الخزينة العامة اشخاص ذوو مال ونفوذ بينهم عدد كبير من موظفي الدولة (وهنا ادخل لقب « افندي » الى اللغة العامة واصبح مرادفاً « لصاحب مقاطعة ») .
وكان نصيب القرى التي اسسها محمد علي (١٨٣١ - ١٨٤١) وألحقها باملاكه واغفل عن تسجيلها المسؤولين الاتراك ١ ، شبيهاً بنصيب هذه الأراضي .

١٩٥ . الفنت L. Oliphant ارض جلعاد ، نيويورك ، عام ١٨٨١ ، ص ٨٦ ، ١٨٤ ، ٢٤٨ . لوك وكايت روتش H. C. Luke and Keith-Roach في « المختصر عن فلسطين » ، الطبعة الثالثة ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ . وحسب زعم دلمان G. Dalman في كتابه Arbeit und Sitte in Palastina ، م ٢ ، ص ٣٦ ، عام ١٢٣٢ . ان التطويب ابتداء منذ عام ١٨٦٣ ومنذ ذلك الحين اصبحت حجة ملك واضع اليد معروفة بـ « قوشان » . واستسلم الملتزمون وثيقتين الاولى من الصدر الاعظم واسمها « شرطنامه » (رسم ، م ٢ ، ص ٢٥ ، س ١١ ، ص ٥٣ ، س ٩) ، والثانية من القاضي واسمها « حجة » . (الامثال في رسم ، م ١ ، ص ١٢١ - ١٢٣ ، م ٢ ، ص ٢٤ - ٢٦ ، ص ٦٩ - ٧٠) .

١ لم يراجع الجدول باسماء القرى التي سجلت لدفع الميري المنظمة في عهد محمد علي حتى وقت التطويب (فين Finn ، م ١ ،

ولما كانت اكثرية القرى متجمعة على الضواحي الجبلية والتلال ^١ اصبحت السهول والاقطاعات المتاخمة للصحراء هي المناطق الرئيسية للاقطاعات الهامة ^٢ .

اما لبنان فقد كان ابداً ثائراً مجاهداً ضد الاقطاعية ونابذاً لها . واهم تواريخ المقاومة هي : اولاً : في عام ١٨٤٤ - ١٨٤٨ ^٣ الغاء عدم المساواة في دفع الميري .

ص (١٧٢) . ألفنت Oliphant في كتابه على سهل اسرائيل Esdraelon ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

١ لتكون بأمان من الرجل وجيوش الأجورين . Mariti ، ص ١٦٤ . فولاني ، م ٢ ، ص ٦٨ ، ٣٣٦ - ٣٣٧ . وقد اخلي الساحل من السكان في عام ١٢٩١ بامر المالك لكي يمنعوا الصليبيين من استعماله كقاعدة عسكرية في المستقبل . ابو الفدا ، م ٤ ، ص ٢٦ ، س ٣١ . Anonym ، ص ٢٣ ، س ١٢ .

٢ P. E. F. Q. S. عام ١٨٩١ ، ص ١٠٤ - ١٠٥ ، Aubagen ، في كتابه :

Beitrage zur Kenntnis der Landesnatur und der Landwirtschaft Syriens ، برلين عام ١٩٠٧ ، ص ٥٢ .

٣ شدياق ، ص ٧٠١ ، س ١٣ ، ص ٧١٨ ، س ٤ - ٧ ، ١٨٠٧ .

ثانياً : تحديد سلطة ونفوذ « المقطعية » عام ١٨٤٥ حيث
اكره كل مقطعي في المقاطعات الدرزية والمسيحية على
السواء بان يتقاسم السلطة مع ممثل للفئة الاخرى ، اي
الشعب . ثالثاً : ثورة الفلاحين عام ١٨٥٤ ، تلك الثورة
التي وضعت حداً نهائياً لامتيازات الاعيان والاشراف في
لبنان الشمالي ^١ . رابعاً : عام ١٨٦١ - ١٨٦٤ النظام
الاساسي Règlement Organique الذي اعلن في المادة السادسة:
« مساواة الجميع امام القانون والغاء كل الامتيازات الاقطاعية
وخاصة امتيازات المقطعية » .

وظل لبنان ضمن نفوذ السلطنة العثمانية دولة تدفع
الجزية يحكمها شخص مسيحي عثماني من غير اللبنانيين ،
وممثلوه في المناطق اصبحوا موظفين يتقاضون رواتب
شهرية غير اولئك الملزمين الجبابة .

وهذا النظام الذي بقي قسراً حتى الحرب العالمية لم

١ H. Lammens سوريا ، بيروت عام ١٩٢١ ، م ٢ ،

يُخل من منح العائلات الاقطاعية القديمة امتيازات ذات شأن تميزها عن سواها . فالمادة الثالثة من هذا النظام حتمت على الحاكم عند تعيينه ممثلاً له في منطقة من لبنان ان يأخذ بعين الاعتبار اهمية ممتلكات هذا الممثل في المنطقة ، كما ان المادة الرابعة نصت « بان يكون المجلس الاداري ممثلاً من عناصر الشعب المختلفة ومن اصحاب الاراضي والممتلكات » .

هذا فيما يتعلق بالاقطاعية . اما الخدمة الجبرية (الرق) فقضية زالت تدريجياً ايضاً على الشكل الآتي : في عام ١٨١١ اعطى محمد علي الحق لعبيد الملتزمين برفع شكواهم على اسيادهم الى ديوان اسس خصيصاً لهذا الغرض ^١ ، وحرّم عليهم ترك القرية دون استئذان اسيادهم ^٢ . وهذا الحرمان كان سبباً من اسباب الحرب المصرية - العثمانية عام ١٨٣١

١ جبرتي ، م ٤ ، ص ١٣٨ ، س ١٥ - ٣٢ .

٢ جبرتي ، ص ٨١ ، س ٢٢ ، ص ٢٠٧ ، س ١٦ . رستم

(ملاحظات سابقة ، عام ١٩٢٨) ، ص ١٢ .

— ١٨٣٣^١ ، حيث صدر مرسوم من السلطان يقر بعدم شرعية^٢ هذا الحرمان . وزال أثر هذا الحرمان نهائياً عن مصر يوم عدلت سلالة محمد علي عن سياسته التي تفرض مراقبة صارمة على نشاط الفلاحين الاقتصادي ، كما انه زال عن سوريا وفلسطين اثر الفتح العثماني الثاني وكان للشوار الفلاحين شأن في ذلك .

اما في لبنان فلطالما كانت وطأة الخدمة الجبرية (الرق) اكثر اعتدالاً وظلها اخف منه في البلدان المجاورة ، ويعود ذلك في الاغلب للعلاقات النسبية والعشائرية التي تربط السيد بالمسود . وكانت ثورة ١٨٥٤ ضربة قاضية

١ وليس واضحاً ما اذا كان الباعث النهائي (حسب زعم Olberg ، ص ٥٦ - ٥٧ وكتاب معاصرين غيره) هو رفض الحاكم العام في عكا تسليم الفلاحين المصريين الهاربين لسيدهم محمد علي او (حسب زعم اسد رستم في كتابه « السجلات المصرية الملكية واسباب الحملة المصرية لسوريا » (بيروت عام ١٩٣٦ ، ص ٢٥ - ٢٦) ان اسبادهم الجدد (مشايخ القرى) لم يسمحوا لاولئك الذين ارادوا الرجوع الى مصر بالعودة اليها .

٢ اولبرج Olberg ، ص ٥٧ .

على الرق في لبنان الشمالي ، كما ان النظام الاساسي أزالها
عن لبنان الجنوبي عام ١٨٦١ — ١٨٦٤ .

فهرست الاسر

الاحدب	الجرار
ابو صعب	جنبلط (جنبولاط، جانبولاد)
ابو غوش	الجيوسي
ابو اللمع	حبيب
اسماعيل	حبش
ارسلان	الحرفوش
اطرش	الحسيني (الوفاعي، النقيب)
امراء راس نحاش	حماده
ايوبيون	حمدان
بختو (تنوخ)	الحمراء
بشاره	الحنش
برقوقي	الحازن
بغداد	الدحداح
بقر	زيدان
تلحوق	سيفا
التميمي (الواري)	شارنقاشي

علي	شهاب
عماد	صبح (صُبَيْح)
عمر	طرابيه
فارحي	طوقان
فضل	الظاهر
مرءآ	الغازار
معصاد	عباسيون
معن (رمطوني)	عبد القادر
المعين	عبد الملك
النشاشيبي	عبد الهادي
نكد	عساف

فہرس

[illegible]

نصوب

خطأ	الصفحة	السطر	صواب
الخصوصيين	١٩	٤	الخصوصيون
مخلع	٢٧	١	مخلع
القبليين	٥٦	٨	القبليون
مقاطعة	٦٤	١٨	مقاطعتنا
الحراج	١٣٨	٨	الحراج
محلات	١٦٢	١٥	مواضع
لا اراضي	١٧١	٣	الاراضي
الحراج	١٨١	١١	الحراج
Quaterly	١٨٩	١٢	Quarterly

انتهى طبع هذا الكتاب على مطابع نصار
في اليوم الثمان والعشرين من اذار
سنة تسع واربعين وتسماية والاف .